رحلات البنادقة إلى مصر
في القرنين ١٤ ، ١٥ الميلاديين

رحلة ايمانويل بيلوتي دي كريت

دراسة حالة
Emanuel Pilotti De Créte

إعداد:

دكتورة/ **سامية عامر**

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى
كلية التربية بورسعيد
جامعة قناة السويس

بسم الله الرحمن الرحيم



صدق الله العظيم.

تعتبر الرحلة إلى مصر في القرنين (١٤، ١٥) الميلاديين مصدر شغف والهام كبيرين للكثير من العائلات الأوربية والشخصيات الهامة، حيث تمكن هؤلاء الذين قدموا للمشرق عموماً ومصر على وجه الخصوص من اكتشاف الصورة الحقيقية للتراث المصري، وتلاشت على أيديهم المزاعم والخرافات حول عراقة وأصالة الحضارة المصرية في كل عصورها، وتمكن هؤلاء الزائرون ولا أقول الرحالة فقط من إحداث حالة من الثراء الفكري والجغرافي والتاريخي في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فقد كانوا خليطاً من الحجاج[1] والتجار والمحاربين والمبشرين ولم يكن هدفهم جميعاً البحث والدراسة والتدوين والاطلاع بل اختلفت الأهواء والمشارب في زيارتهم لمصر كل حسب هدفه ومصالحه الخاصة.

وترجع أهمية الرحلة إلى مصر والتي تزايدت أواخر القرن (١٤، ١٥م) أنها جمعت بين الرحلات الفردية والجماعية وأنها كانت تتم بشكل متقطع وتخضع دائماً للظروف السياسية والاقتصادية لمصر ومدى تأثير ذلك على العالم المحيط بها، مما أوجد آثاراً إيجابية كثيرة استفادت منها أوربا إلى حد كبير، والجدير بالذكر أن رحلات الأفراد كان لها تأثير إيجابي أكبر من الرحلات الجماعية التي كانت تتسم بطابع الحرب والعداء ونهب ثروات الشرق، وينطبق هذا على كافة الحملات الصليبية وآخرها حملة بطرس لوزجنان على الإسكندرية ١٣٦٥م[2]، أو بمعني أدق لم يكن ممكناً للفرد أن يرحل من وطنه بمفرده أو بصحبة مجموعة صغيرة من الأهل والأصدقاء إلى عالم غريب وهو يحمل هدفاً دينياً أو مطامع شخصية بل على العكس كانت رحلات الأفراد تتسم بثقافة عالية ومودة شديدة لمصر وأهلها، وتمثلت هذه الصورة بوضوح في رحلات الكتاب، والمفكرين والتجار وأصحاب الثروات والحجاج، ما عدا بعض الكتاب والمؤرخين أمثال وليم الصوري[3] William De Tyre وجان دي جوانفيل Jean de Joinville ممن قدموا تحت لواء الحملات الصليبية، فإنه

---

(1) Revue d, Histoire Economicue et Sociate des Navires Venise, pp. 21-31, 253-262, Pryor, John H., The Voyage of Jacques of Vitry from Genoa to Acre, 1216, Economic Problems in Medieval Navigation, Pelaez, pp. 1689, 1714.

(2) Mass-La Trie, Louis de, Histoire de Chypre Sous Le Regne des Princes de La Maison De Luignan, Paris, 1861 pp.47-58.

(٣) وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة د/ حسن حبشي جـ ٢، ص ٣٤، وجوانفيل: القديس لويس: ترجمة د/حسن حبشي، دار المعارف ١٩٦٨، الطبعة الأولى، ص ٨٣-٨٤.

على رغم ما عرف عنهما من فصاحة وحماسة وثقافة تاريخية فذة حيث إنهما من أرباب الفكر والقلم، إلا أن وجودهما داخل ثقافة وفكر الحرب والسلاح لم تعط لنا الفرصة لكي نعتبرهم رواداً في حمل ملامح الفكر والثقافة إلى الغرب الأوربي فقد سيطرت عليهم مشاعر العداء والقتال ضد المسلمين عامة ولم يتسنَّ لهما مثلاً معرفة مقدار الثراء الفكري والثقافي والاستقرار الاقتصادي الذي عرفته مصر آنذاك، وكل ما كتبه هؤلاء إنما يظهر دون قصد عن الوجه الكثيب لأوربا آنذاك وأحلام شعوبها في البحث عن ملاذ آمن لملأ البطون وليس العقول، والخروج بكل السبل من ذلك المجتمع الإقطاعي وأفكاره البالية في حين جاءت رحلات الأفراد قوية في نتائجها وأيقنت أن مصر بوتقة حقيقية لصهر الكثير من ملامح الثراء الفكري والاقتصادي والاجتماعي، عموماً لقد حظيت مصر بزيارة الكثير من هؤلاء الزائرين سواء كانوا من العرب أو الأوروبيين ومنهم المؤرخون والجغرافيون والرحالة والتجار وأمثال ابن بطوطة وابن جبير وابن حوقل وابن خلدون وغيرهم.

وقد اتفق غالبية المؤرخين على أن جذور الرحلة إلى مصر بدأت في القرن ١١م، وأن الأنظار اشرأبت إلى هناك مع بداية الدعاية الضخمة التي تبنتها البابوية لإشعال فتيل الحركة الصليبية بأهدافها المختلفة ، لأن تحرير قبر المسيح وحماية الحجاج والاستيلاء على أرض العسل واللبن أسال لعاب الكثير من أثرياء وعبيد المجتمع الأوربي وبمرور الوقت تحول هذا الهدف المادي المجرد إلى رحلة جميلة سعى إليها الكثيرون لزيارة الأماكن المقدسة وأيقن الفرنج أن هذا الحلم لن يتحقق إلا عن طريق مصر، فقد شغف الأوربيون بزيارة مسار العائلة المقدسة إلى مصر هرباً من بطش الإمبراطور الروماني الوثني، وأصبحت مدينة القاهرة مركزاً لتوافد الرحالة والزائرين المسيحيين وظهر ما يعرف في مصر باسم الذخائر المقدسة (وهي قطع من ملابس وشعر القديسين) الذين عاشوا في مصر في فترة الاضطهاد[1] كما اهتم الأوربيون أيضاً بزيارة مدينة الإسكندرية حيث كنيسة القديس مرقص في حي بولكلي وحرص الرحالة البنادقة بالذات على نقل رفاته إلى مدينة البندقية[2]، هذا بالإضافة إلى الزيارات الخاصة والمنظمة جداً التي قام بها الأوربيون لزيارة دير سانت كاترين في

(1) Meinhardus, TheHoly Family in Egypt Cairo Press, 1986, pp. 35-40.
(2) Burmester, Ancient Coptic churches of Cairo, Traditions of Coptic Church in Alexandria, Cairo, 1955, pp. 7-9.

سيناء[1] أما أهرامات الجيزة فلم تكن تحمل في هذه الفترة المفهوم التاريخي الصحيح بأنها مقابر الفراعنة وطريقهم الأبدي نحو الخلود بل نظروا إليها على أنها مخازن الغلال التي أعدها سيدنا يوسف لفرعون مصر لمواجهة سنوات القحط والجفاف[2].

أما المومياء المصرية فكانت في حد ذاتها هدفاً رئيسياً لزيارة مصر حيث راجت في أوربا تجارة صناعة الدواء المستخرج من المومياء المصرية وساد الاعتقاد بسحر هذا الدواء في شفاء الكثير من الأمراض الخطيرة[3]، وسوف نتعرض بالتفصيل لهذه التجارة في طيات هذا البحث وكيف حرص التجار الأوربيون على عقد الصفقات مع العرب البدو المحيطين بمنطقة الأهرامات على شراء المومياء، وتقطيعها وطحنها ووضعها في زجاجات لتباع بأسعار فلكية في أوربا، عموماً لم يأت أحد إلى مصر إلا وكان حلم الثروة والمكسب يراوده سواء كان تاجراً أو محارباً، أو حاجاً أو مبشراً، الجميع كانوا يعرفون قيمة مصر وأنها همزة الوصل بين شرق العالم وغربه وأنها موطن تجارة التوابل وبها أعظم مواني البحر المتوسط[4].

ومن الغريب أن كثيراً من هؤلاء الزوار رغم عظمة الرحلة وثرائها ومكاسبها تحولوا في بعض الأحيان إلى عيون وجواسيس ومبشرين ضد الشعب المصري ونقلوا معلومات خطيرة عن إستراتيجية وأحوال اقتصاد مصر مما كان سبباً مباشراً في توجيه الكثير من الضربات لمصر ومواNيها ومنها حملات عموري الأول ولويس التاسع ملك فرنسا، وجان دي بريين قائد الحملة الصليبية الخامسة، وبطرس لوزجنان حاكم قبرص على الإسكندرية والجدير بالذكر أن البابوية شجعت على الرحلة إلى مصر وباركتها بل كانت توصي الزوار والحجاج بكتابة مذكراتهم، ومشاهداتهم مما أوجد لنا ما يشبه دليل السائح في عصرنا الحالي والذي كان النواة الأولى لظهور أدب الرحلة في العصور

---

(١) عبد الحميد صبحي (دكتور): الأحوال الاجتماعية لديرسانت كاترين، ص ٨، داود عبده داود: دير سانت كاترين وأهميته في الفن البيزنطي، الإسكندرية ١٩٦٠، ص ١٣-١٧.

(2) General: I. Edward, The Pyramids of Egypt, The Giseh Group, pp. 116-1127.

(3) Harris, Mummy as a Drug, Medicine, pp 130-135.

(4) Revue d, Histoire Economicue, op. cit, p. 253.

الوسطى وقد لعب البنادقة دوراً بارزاً في إثراء مفهوم الرحلة إلى مصر وتمكنوا من تحقيق مكانة مرموقة بين باقي الجنسيات وساعد على ذلك ثراء البنادقة ومهاراتهم في ركوب البحر وكثرة عدد سفنهم والقوانين الملاحية الصارمة التي وضعتها البندقية لسلامة ركابها وسفنها بالإضافة إلى قوة عملة البندقية وهي الدوكات بين باقي العملات آنذاك، وكل ذلك أعطى لمدينة البندقية مكانة مميزة ودوراً جوهرياً في مصر وخاصة في مدينة الإسكندرية لأنه لم يكن مسموحاً لهم طبقاً للقانون المصري البقاء في مدينة القاهرة أكثر من ثلاثة شهور.

ومن أشهر هؤلاء على الإطلاق التاجر والدبلوماسي والرحالة البندقي المعروف ايمانويل بيلوتي دي كريت Emanuel Pilotti De Crete موضوع هذه الدراسة فقد فاق ايمانويل بيلوتي عصره بكل المقاييس واستطاع بنفوذه ودبلوماسيته الفائقة وثرائه الفاحش أن يحظى بمكانة مرموقة داخل القصر المملوكي منذ عصر السلطان برقوق وحتى عهد السلطان برسباي وذلك طوال اثنين وأربعين سنة كاملة شاهد فيها عن كثب مجريات الأمور والأحداث داخل قصر الحكم وحظي بصداقة عدد كبير من الزعماء المماليك وصال وجال بين ربوع مصر وتاجر في شتى أنواع البضائع مثل الذهب، الفضة، الجلود، الفراء، الزجاج، الملح وزيت البلسم وأعطى وصفاً دقيقاً عن مصر وخاصة الإسكندرية وشوارعها ومناخها، وشعبها، كتب عن الفنادق والحانات والاحتفالات المصرية بأجمعها والأعياد سواء القبطية أو الإسلامية منها كما كتب بإسهاب عن نهر النيل ومشروعات الري والفيضان والعواصف ومواعيدها، وأفضل مواسم الإبحار من وإلى الإسكندرية فكانت كتاباته قانوناً تراثاً وقانوناً بحرياً من الطراز الأول[1]، فقد أسهب في الحديث عن طبائع المصريين وعاداتهم وعن بدو الصحراء الشرقية ومخاطرهم، عمل سفيراً ودبلوماسياً بين مصر والبندقية وحصل على امتيازات مقابل هذا الدور الرفيع المستوى واحتكر بمفرده تجارة أصناف عديدة من البضائع، وحصل على منح وإعفاءات وصلت لحد أن جعل منزله ملحقاً بميناء الإسكندرية مباشرة وحصل على العديد من الإعفاءات

---

(1) Dopp, p.H., L' Egypt A "Commencement d, après Le Traite d' Emmanuel Piloti de Crete, Incipit 1420, Cairo, 1950, pp 27-33.

الجمركية الكبيرة وكل ذلك كان بموافقة ورضا السلطان المملوكي برقوق وابنه الناصر فرج[1].

ولد ايمانويل بيلوتي دي كريت عام ١٣٧١م، وقد اختلفت الآراء حول مكان ميلاده ولكن الأرجح أنه ولد في ضاحية تقع أقصى شمال شرق جزيرة كريت التابعة للبندقية وتسمى ضاحية باليكسترو ,Palaicastro [2] وهو ينتمي إلى عائلة قوية ومعروفة هناك وقد عشق السفر والترحال والتجارة منذ الصغر وشجعه على ذلك عدد من أفراد عائلته حتى إذا بلغ الخامسة والعشرين من عمره بدأ في السفر بمفرده بعد أن كون ثروة مكنته من السفر والتجارة وبالتحديد في مصر والإسكندرية[3].

وتعتبر هذه الدراسة عن ايمانويل بيلوتي دي كريت الأولى من نوعها في المكتبة العربية وقد اعتمدنا فيها على مجموعة من الوثائق الأصلية وهي عبارة عن مجموعة من الخطابات التي كتبها ايمانويل بيلوتي إلى صديقه الحميم البابا ايوجين الرابع Augen IV[4] (١٤٣٠/١٤٤٧)، حيث دأب على إرسال هذه الخطابات إليه بصفة دائمة وقد حفظت هذه الرسائل في مكتبة الفاتيكان ولم يعرف عنها أو يعثر عليها أي شخص قبل عام ١٨١١م حين اكتشفها المؤرخ

---

(1) Garcin, The Regim of Circassion Mamluks, in C. Petry (ed). Islamic Egypt, (Cambridge History of Egypt.1) Cambridge University Press, 1998; pp. 295- 97

وللمزيد عن عصر السلطان برقوق وابنه فرج انظر:

سعيد عاشور (دكتور): مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٢٣١، ٢٣٤.

Mayer, L.A., Masn Luk Costume: A Survey, Genève 1952, p.572.

ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ١، ص ٣٥٣-٣٥٥ .

(2) Pilloti, Emmanuel, Traite de Piloti, op.cit, pp. 312-419.

Hazlitt, C., The Venetian Republic, Its rise growth and its fall, London 1900, Vol-2, pp. 428-437, Lumbroso, G., Notizie di viaggiatoire Italiani in Egitto dal 1300-1480, Roma, 1873, pp.121 -148.

(3) Dopp, Emmanuel Pilloti de Crete, op. cit, pp. xxv-xxii, Monarchs, Chronicon de Arebus, Venet iis aburbe condita Ad Anmum of Veneice, 1758, p. 194. Mcccliv Eliyahu, A., Levant Trade in the Later Middle Ages, Princeton, 1981, pp. 17-62.

(4) Emmanuel Pilloti, La Caravane du Cairo a La Mecque, pp. 43.

والكاتب الفرنسي Dopp حيث عثر عليها بالصدفة وبالتحديد في مدينة بروكسل وقد علق أحد المؤرخين الحديثين أن هذه الرسائل هي جزء من ممتلكات دوق برجوانيا فيليب دي لوبون (فيليب الطيب ١٤١٦-١٤٧٦)[1] وأنها كانت تحمل عنوان " قسم ماوراء البحر" ضمن مجموعة ضخمة من الكتابات عن المشرق الإسلامي والحروب الصليبية ويؤكد دوب Dopp أنه لم يحصل على هذه الرسائل داخل المكتبة البلجيكية لأنها انهارت وضاعت محتوياتها، ولكن وجدها بخط ايمانويل بيلوتي تباع بالصدفة في أحد أسواق الكتب والأوراق القديمة في مدينة بروكسل[2] وأن البائع وكان اسمه انطوان نيونز Antoan Newnz كان شغوفاً باقتناء الكتب النادرة عن العصور الوسطى ومن بين ما وقع نظره عليه رسائل بيلوتي إلى البابا ايوجين الرابع والتي وصف فيها مصر والإسكندرية في القرنين (١٤-١٥م) بصورة لا يمكن أن ينافسه فيها أحد ويشير دوب أنه منذ ذلك التاريخ انتقلت هذه الرسائل فعلاً وحفظت داخل المكتبة البلجيكية ضمن المخطوطات والوثائق الهامة هناك ولكن لم يشر إلى من تولى هذا الأمر بالتحديد.

وتعد هذه الرسائل مصدراً فريداً عن تاريخ مصر أواخر العصور الوسطى انفرد فيها بيلوتي بذكر أحداث هامة ودقيقة وخطيرة عن التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمصر[3] إبان هذه الفترة لم يشر إليها أحد غيره ومنها حملة صليبية مغمورة لأحد الأمراء الفرنج ويدعى يوكيكور وكانت ضد مصر وقد كتب عنها بيلوتي رسالة طويلة مكونة من ٧ صفحات كاملة ضمن رسائله للبابا أيوجين الرابع ونظرا لأن كتابات بيلوتي عن مصر تعد مصدراً هاماً وقيمة تاريخية كبيرة لكل من كتب عن مصر لذا فقد اعتمد على كتاباته الكونت هنري دي كاسترو **Henry De Castro** في كتابه عن الإسلام والذي صدر عام١٨٩٦م كما اعتمد عليها أيضاً الكاتب ريموندويل Rymondwel في بحثه الصادر عن مجلة كلية الآداب جامعة باريس ١٩٠٨م، وأيضاً فيليب

(1) Emmanuel Pilloti, Transport des Marchandises de La Mecque an Cairo, pp. 45-48, Heyd, op. cit, t. II, p.663.
(2) Cambridge, Medieval History, Vol. 8, pp. 24-30, Painter, S., A History of the Middle Ages, N.Y. 1954, p. 428.
(3) Rogers, J.E. Holland, London, 1885, pp. 22-26 Cam. Med. Hist. op.cit, Vol. 8, p.356.

دي بون Philip De Boun في كتابه " مشروع الحملات الصليبية والتي صدرعام ١٩١٨م وقد أعلن فيليب صراحة أن ما جاء في رسائل بيلوتي إلى البابا أيوجين الرابع "هو عمل فريد لم يتوصل إليه أحد من قبل" وخاصة ما ذكره عن الحملات الصليبية التي تمت في نهاية العصور الوسطى(1).

لقد كان بيلوتي صاحب نظرية ورؤية تاريخية فذة خاصة فيما كتبه عن حملة بطرس لوزجنان على الإسكندرية(2)بل يشير البعض أن فكرة وأسلوب بيلوتي عن مصر يختلف تماماً عما كتبه أو عرفه أحد غيره من مؤرخي العصور الوسطى المتخصصين، حيث يشير دوب أن من بين هذه الرسائل رسالة نادرة وغريبة يتهكم فيها بيلوتي على كل القادة الصليبيين الذين قدموا إلى المشرق وعلى كل من حاول غزو مصر بأنهم لا يعرفون شيئاً عنها ولا عن جغرافيتها وما هي عوامل القوة والضعف فيها وقد نشر هذه الرسالة البارون ريفبرج Rfaberg أمين المكتبة البلجيكية حيث يقول " أنه نظراً للحميمية الشديدة التي تربط بين البابا وبيلوتي فقد اتسمت تلك الرسالة بصدق وصراحة شديدة أوضح فيها أن امتلاك مصر والسيطرة على خيراتها وموقعها الممتاز سيظل أملا يراود كل حكام أوربا، وأشار ايمانويل أن مفاتيح امتلاك مصر تتم أولاً بالسرية التامة، والاستعداد القوي، ووحدة القيادة وأن الفتح لا بد أن يبدأ من الإسكندرية وأن أفضل القادة لا بد أن يكونوا من أهل مدينة فينسيا ويؤكد بيلوتي دائماً إلى المكاسب الجمة التي سيحصل عليها الغرب إذا اتبع بتلك النصائح لأن الاستيلاء على الإسكندرية معناه امتلاك الميناء العظيم والمقدسات المسيحية بل أشار أن سقوط الإسكندرية في أيدي البنادقة سوف يعطى للبنادقة فرصة السيطرة على الممالك المسيحية والتي لازالت بأيدي المسلمين في البحر المتوسط، وهذا تكريم كبير للبنادقة وللبابا.

ويشجع بيلوتي البابا قائلاً: "إن نجاحك في هذا المشروع لو اتبعت هذه النصائح بدقة سوف تمنح لك القدرة في الهيمنة على تجارة العالم الإسلامي والمسيحي كله"، وستتحكم البابوية في الملاحة البحرية في الإسكندرية وسوريا وتركيا، ويقول له إن هذا سوف يزيد من انتشار الدين المسيحي، كما ينصح

---

(1) Saint-Genois (Baron Jules de-) Les Voyageurs belges du xiii eme Siècle du xvii eme Siecle. Bruxells, A. jamar, 1845, pp.12-18.

(2) Van Genne P, R., La Ducat Venetian en Egypt, dans la Revue numismatique. Paris 1897, pp 373-381.

البابا باتباع أسلوب معين في التعامل مع شعب الإسكندرية كما فعل ايمانويل بيلوتي نفسه طيلة ٤٠ عاماً قضاها في هذه المدينة، ونصحه بالأسلوب الصحيح الذي يجب أن يتبعه لحماية الأسر المسيحية هناك ويشير دوب أن بيلوتي ظل يراسل البابا كثيراً ويشجعه على سرعة إرسال حملة صليبية جديدة إلى الإسكندرية حيث يقول في رسالة أخرى" أنه ليس من الصعب احتلال الميناء إذ يكفي إشعال الفتنة بين المماليك والسلطان، وقال له إن مماليك السلطان يكون ولائهم له هو شخصياً وليس لمصر، كما يقول إذا نجحنا في إثارة هذه الفتنة سيسهل علينا غزو مصر، وأشار بضرورة التلاحم بين الشعوب المسيحية وعدم نسيان قوة سوريا وخطورة موانئ عكا وطرابلس على أي مخطط صليبي، كما نصح البابا بالاعتماد على فرسان رودس لحماية الأماكن المسيحية المقدسة في مصر، وقال في رسالته وبذكاء شديد أن نجاح أي مشروع لا يتم ولا ينجح دون مساعدة رئيس طائفة البنادقة هناك ولم يغفل بيلوتي بين ثنايا سطور هذه الرسالة أن يذكر البابا دائماً بقوة الاقتصاد المصري وثراء الميناء، وصعوبة طباع أهل الإسكندرية وكيفية التعامل مع ظروف المناخ وخطورة فيضان نهر النيل والتربة والرياح والحر والبرد لم يترك ثغرة في هاتين الرسالتين إلا وتعرض لها وكأنه يضع خطة استراتيجية كاملة لنجاح مشروع غزو مصر" [1].

ورغم ما في هاتين الرسالتين من معاني خطيرة وسوء نية كنت أتمنى أن أوردها في نهاية هذا البحث حتى لا أشوه صورة بيلوتي الجميلة التي أطل علينا بها من خلال كتاباته ووصفه الرائع لمصر وبنظرة فاحصة على هذه الرسالة تبين للباحث أنها كتبت في نهاية عهد بيلوتي بمصر أي تقريبا ١٤٣٠ وهي تدل على أن بيلوتي تعرضت لضغوط نفسية كثيرة هي التي دفعت به إلى هذا الشعور العدائي ضد مصر وأهمها أن ما حدث في مصر من ارتفاع الضرائب وأسعار السلع بشكل مبالغ فيه في نهاية عصر المماليك قد أثر على مصالح ومكانة بيلوتي هذا من ناحية، أو ربما للقسوة والعنف الذي تعامل به السلطان برسباي ضد المسيحيين وحرق كنائسهم في نيقوسيا أو لأن بيلوتي مهما كان حبه لمصر فلا يمكن أن تتحول مشاعره بالكامل ضد بني جلدته من المسيحيين، وأخيراً ربما أراد أن يجامل البابا أيوجين الرابع وصديقه الحميم بأن يسجل له

---

(1) Z ambaur, E., Manuel de Genealogie et de Chronologie pour L' Histoire de Islam. Hanovre Heniz Lafaire, 1927, pp. 23-31-37.

خبرته الطويلة في مصر ويضع له خطىً ناجحة لمشروع سياسي ضخم يحقق عن طريقه حلم البابوية والعالم الغربي كله باحتلال مصر وسن ثم بيت المقدس. بل الأكثر من ذلك لقد أشار المؤرخ ا لفرنسي دوب Dopp أن بيلوتي رحل خصيصاً إلى روما بعد كتابة هذه الرسالة أي في عام ١٤٣٤م لزيارة البابا الذي خرج بنفسه مع حشد كبير من رجال الدين لاستقبال بيلوتي لمناقشة هذا الموضوع وفي هذا دلالة قوية على مكانته المرموقة بين حكام الشرق وقيادات الغرب المسيحي، وأن كلماته عن غزو مصر كان لها تأثير قوي في القيادات المسيحية سواء الدينية أو السياسية[1].

يقول ايمانويل بيلوتي عن نفسه " لقد اكتسبت الكثير من الخبرة والمعرفة منذ أن وطأت أقدامي أرض مصر ولم أبرحها حتى بلغت السبعين من العمر فقد كنت قريباً من أهل هذا البلد أعيش وأتعايش مع أحداثه، جذبني ميناء الإسكندرية والقلعة[2] وحياة المماليك في القاهرة، تابعت الحياة السياسية هناك وشاهدت بعيني مائتين أسير من معركة نيكولوليس Nicopulis ١٣٦٩م وصلوا تواً إلى القاهرة من جنسيات فرنسة وإيطالية ويونانية أرسلهم أحد السادة الأتراك هدية للسلطان برقوق بعد هزيمة الإمبراطور سيجموند أمام السلطان العثماني بايزيد[3].

ويشير بعض المقربين من ايمانويل بيلوتي أنه عاصر حياة الكثيرين من سلاطين المماليك حتى عام ١٤٣٨م وهي سنة وفاة السلطان برسباي، حيث أكد بيلوتي أنه سمع خبر موت برسباي وهو خارج ولم يتحدث عن مصر بعد هذا التاريخ ولم يتعرض لجهود السلطان جقمق ضد قراصنة رودس الذين هاجموا الكثير من السفن المصرية[4] وقد اتفقت غالبية الروايات على أن بيلوتي كان من أشهر الأجانب الذين ترددوا على قصور السلاطين المماليك، وكان له هيبة ووقار شديد، وعاش في مصر من عام ١٣٩٦م وحتى ١٤٣٨م وعمل في كثير

---

(1) Mas-Latrie, (L.,) Histoire de Chypre Sous Le regme des princes de La Maison de Lusignan, Paris, Imprimerie imperial, 1861- 1862, 3vols in 4, pp.47 et 660; Guillaume De Machaut, La Prise d, Alexandria ou Chronique de Roi Pierre de Lusignan, Fick, 1877, pp. 68-76.

(2) Atiya, A.S., The Crusade in the Middle Ages, London, 1938, pp. 28-45.

(3) Dopp, Emmanuel Pilloti De Crete, op.cit. pp. 3-9 text.

(4) Dopp, Emmanuel Pilloti De Crete, op.cit. introduction, P xiv, xv, xiii.

من صنوف التجارة والبضائع وأقام في الإسكندرية وحدها ٢٢ سنة كان كثير التنقل والترحال في جزر البحر المتوسط وموانيه وبعد كل رحلة كان يعود إلى الأرض المحببة إلى نفسه الإسكندرية التي اعتبرها وطنه الأم وتمنى أن يموت ويدفن فيها، كان ايمانويل بيلوتي بارعاً في عقد الصفقات، وقال إنه زار سوريا ثلاث مرات وكتب عن موانئ سوريا ، وأفضل ظروف الملاحة فيها والمسافة بين كل مينا والآخر ومنهم إلى سالوينك واالمورة ودمشق، لقد كتب بيلوتي تراثا بحرياً من الطراز الأول.

وقد اتسمت حياته في الإسكندرية بالطابع الارستقراطي والمكانة المميزة حيث يقول " كنت الوحيد من أهالي البندقية الذي سمح له بالتنقل من وإلى الإسكندرية والقاهرة والمنصورة ورشيد ودمياط، وسمح لي أيضاً بالإقامة أي مدة أرغب فيها داخل القاهرة، وهذا لم يكن مسموحاً لغيري من الجنسيات، يقول أيضاً: "لقد تاجرت في الحرير والذهب وزيت البلسم والعنبر والنبيذ الأحمر المستورد من مالدوفيسي Maldovsie وجميع منتجات كريت موطن رأسي" ، ويقال إنه كان يصدر للإسكندرية ٤٠٠٠ طن زيت زيتون، ٣٠٠٠ طن من النحاس، وبلغت أرباحه السنوية ما يقرب من ٣٠٠٠,٠٠٠ دوك بندقي[1]، وفي الحقيقة لم يكن بيلوتي هو الوحيد الذي زار مصر وكتب عنها في هذه الفترة من تاريخ المماليك، فقد زارها العديد من الرحالة والتجار والحجاج، وأشهرهم مارينو سانودو Marinu Sanudu[2] أشهر تجار البندقية في القرن ١٣ وصاحب العديد من الخرائط الهامة عن مصر والشام وأيضاً ليوناردو دي نيكولودي فريسكو ١٣٨٤م Leonardo De Frisco والراهب فيلكس فابري والراهب الفرانشيسكاني نيكولادي بوجيبونسي ١٣٥٠ وسيمون هوجو الأيرلندي ونيكولاس دي مارتوني ١٣٩٨م[3] وغيرهم إلا أن كتاباتهم جميعاً عن مصر لم يكن لها تلك

---

(1) Atiya, A.S., The Crusade of Nicopolise London, 1934, pp 435-462, 480.

(2) Muir, W., The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt 1260-1517, A.D, London, 1896, pp. 170-188; Popper, Egypt and Syria under the circassian Sultans, 1382-1466 A.D. California University, 1953, pp. 44-58.

(3) Angeliki, E, The Economic History of Byzantium from 7-15 Century, Washington, 2002, p. 811. Zambaur, Manuel, op, cit, pp. 32-37, Dopp, Emmanuel Pilloti, op. cit, pp. 14-18. Robort L.W., Hope So called " Fragmentum of Marino Sanudo Torsello in I dem, Studies in the Latin Empire of Constantiople, London, 1976, p. 152.

البصمة المميزة كما كان لبيلوتي دي كريت حيث لم يمكث أحدهم في مصر كل هذه الفترة الطويلة التي قاربت على أربعين عاماً، ولم يكن أحدهم شديد الصلة بقصر الحكم المملوكي ومجريات الأحداث مثلما كان لهذا الرجل الذي تسلح بالكثير من الإمكانيات الهامة التي ساعدته على أن يحقق لنفسه تلك المكانة فقد تحدث بطلاقة العربية والإيطالية والفرنسية واليونانية وتميز حديثه بالدبلوماسية والثقافة العالية كان على علم بأسماء سلاطين مصر وسيرتهم عكس الكثير من الزوار الذين زاروا مصر وهم لا يعرفون حتى اسم حاكمها كان تاجراً، وسفيراً ومستشاراً سياسياً لتنسيق العلاقات بين مصر وغيرها من دول البحر المتوسط[1]، كان لا يقل مكانة وأهمية وحصانة عن تلك التي تمتع بها قناصل الدول الكبرى في مصر، شغف بقرارة تاريخ مصر وتفحص بعين ثاقبة طبائع المصريين، وملامح البيئة المصرية وعرف أبعادها وأغوارها، وبعد وصفه لآثار الجفاف وانخفاض النيل الذي حل بمصر من عام (١٤٠٣-١٤٠٥) من أدق ما كتب عن هذه الفترة فقد وصف عدد الموتى وشكل الجثث الملقاة في الشوارع دون دفن ورائحة العفن وتدهور الصناعات وموت الفلاحين وتردي أحوال البلاد لقد كتب صورة دقيقة لكل أحوال مصر إبان هذه الفترة.

وقد اختلفت الروايات حول المدة التي أمضاها بيلوتي في مصر وأنها فعلاً تزيد عن ٤٠ عاماً حيث يشير أحد المؤرخين الحديثين أن بيلوتي بقي في مصر حتى عام ١٤٣٨م أي عاش فيها ٤٢ سنة بل هناك من يشير أنه مات ودفن في مدينة الإسكندرية تحقيقاً لأمنيته[2] في حين يذكر آخرون أنه مات في مدينة فلورنسا ودفن هناك. لقد حصل بيلوتي على موقع خاص به في ديوان الإسكندرية وكان له فندق يمتلكه ويديره بنفسه يستقبل فيه التجار والرحالة ويعقد معهم الصفقات وله صداقات واسعة مع الكثير من الشخصيات الأجنبية وكانوا يطلقون عليه مانولي Manoli وإذا حضروا إلى الإسكندرية كانوا يعرفونه من صوته الأجش وقد زادت مكانته بعد أن قام بدور سفير دبلوماسي بين مصر ودوق ناكسوس جاك كريسبو Naxus Jack Crispo للوساطة والإفراج عن ١٥٠ بحاراً مصرياً اختطفهم القراصنة، وقد كلفه بهذه المهمة السلطان فرج ورشحه

(1) Dopp, Emmanuel Pilloti, op. cit,-26, pp. 59-61.
(2) Angeliki, op. cit-27, Vol. 2, p.811, Andrea, L., Merchant of Venice, pp.1418-1449. Baltimore, 1944, pp. 66-67

أيضاً لهذه المهمة مجلس "اتحاد التجار اليونانيين والبنادقة"[1] عام ١٤٠٨م نظراً لإتقانه اللغة اليونانية ومكانته الرفيعة لدى الكثير من حكام المدن الإيطالية وقد نجح في هذه المهمة واستطاع أن يحقق للبنادقة مكاسب كبيرة بالوساطة عند هذا الدوق وعلى اعتبار أن ناكسوس من توابع مدينة البندقية، فقد أدى هذا إلى مزيد من الرضا على كل البنادقة من قبل السلطان المملوكي حيث تمكن من إعادة هؤلاء الأسرى المصريين لدى دون ناكسوس[2]، وقد استقبل بيلوتي عند عودته إلى مصر استقبال الأبطال، ويقال إن السلطان فرج خرج شخصياً للقائه مع حشد كبير من أهالي مدينة الإسكندرية في حين يشير آخرون أن " قنصل البندقية وحاكم مدينة الإسكندرية هما اللذان خرجا للقائه نيابة عن السلطان فرج"، وقد كان تدخل بيلوتي في هذه القضية أمراً في غاية الأهمية، فقد أوقف المزيد من المشاكل بين مصر والبندقية، حيث هدد السلطان فرج بمصادرة سفن البنادقة إذا لم يعد الأسرى، وقد وافق بيلوتي على دفع مبلغ ٤٠٠٠دوك بندقي فدية عن الأسرى تكون من نصيب دوق ناكسوس وكافأه السلطان فرج بأن منحه حق استيراد خمسة براميل من النبيذ الحلو شهرياً Malvoisie من ميناء الإسكندرية دون ضرائب بالإضافة إلى مكافأة وصلت إلى ٢٠٠٠دوك بندقي دفعها السلطان فرج لبيلوتي لدوره الناجح في فك الأسرى المصريين كما سمح له بفتح باب ما بين سور الميناء ومخازنه لتخرج البضائع من الميناء إليه مباشرة دون دفع جمارك ويسري هذا على البضائع القادمة من برشلونة والبندقية وأيضاً على الصوف والزعفران والفراء من روسيا كما سمح له أن يحصل على التوابل والنحاس بأرخص الأسعار[3]، لقد كتب بيلوتي الكثير عن حياته في الإسكندرية وأشاد بالعدل والتسامح الذي عرف عن السلطان برقوق إلا أنه لم يكن راضياً تماماً عن ابنه السلطان فرج يقول في إحدى رسائله للبابا: "إن الرب سينزل غضبه عليه نظراً لقسوته وشراسته مع خصومه وعدم صدقه في وعوده للرعية"، وكان دائماً يفتخر بالمزايا الكثيرة التي حصل عليها التجار البنادقة إكراماً له، وكان يردد أن رابطة قوية تربط بين الحزب الأم الجمهورية السريانية SURAINE أي "البندقية" ومدينة الإسكندرية وأشار بيلوتي أن البنادقة كان لهم دور كبير في إخبار سلطان مصر بأمر حملة بطرس لوزجنان على

---

(1) Dopp, Emmanuel Pilloti, op. cit, Introcduction, p. xxvi.
(2) Angeliki, op. cit-27, pp.813-815.
(3) Rebuck, Carl, A., The Grain Trade Between Greece and Egypt, London, 1953, pp. 236-247.

الإسكندرية كما كان يكرر بيلوتي يكرر دائماً "أنه لولا الإسكندرية وعظمتها لا يمكن أن تبقى القاهرة أو مصر بأسرها" وأن البنادقة لم يشاركوا قط في سلب ونهب المدينة مثلما فعل غيرهم من التجار المقيمين وأهمهم الجنوية.

وكانت كتابات بيلوتي لا تخلو من العداوة للجنوية بسبب حقدهم عليه نظراً لما حصل عليه هو وبنو جلدته من البنادقة من امتيازات كثيرة في ميناء الإسكندرية والتي كانت مرتعاً خصباً للجنوية من قبل، ويشير أنه لم يكن يتحمس كثيراً لتقديم خدمات وتسهيلات للتجار الجنوية دون باقي الجنسيات الأخرى، وهذا أمر واقع ومعروف منذ نهاية القرن ١٣م، وما حدث من صراع بين الجمهوريات الإيطالية قبيل نهاية الوجود الصليبي في بلاد الشام[1]، وقد أساء الجنوية كثيراً لبيلوتي ولا حقوه بالإشاعات والاتهامات المغرضة للوقيعة بينه وبين السلطان المملوكي، وكان يرد عليهم بأنهم يسيطرون على مستعمرة كافا Caffa ويتخذون منها مستقراً لتهريب الفتيات العبيد إلى طريق مصر لممارسة البغاء[2]، وقد أشار بيلوتي إلى حملة مغمورة قام بها بعض أساطيل الجنوية ضد مصر، وتسمى حملة بوكيكوت Boucicaut، وقد هاجمت ميناء الإسكندرية ١٤٠٢م ويعد بيلوتي الوحيد الذي أشار لهذه الحملة[3] حيث قال إنه دارت حرب في الشوارع بين أهالي الإسكندرية والجنوية، وأن السلطان المملوكي كلفه أن يذهب بصحبة بعض التجار المصريين للتفاهم مع قائد هذه الحملة وأنه استطاع أن يوقف هذه الهجمات ويقنع قائدها بالرحيل وإنقاذ مدينة الإسكندرية من الخراب والدمار ويعد بيلوتي الوحيد الذي تحدث عن هذه الحملة، وربما أنها واحدة من الحملات المغمورة التي لم تفز بأرقام في التاريخ[4] حيث لم يتحدث عنها غيره.

---

(1) Lane Abdrea, Barbarigo Merchant of Venice, pp. 76-77, 101-112.

(2) Van Gennep, A., Le Ducat Ventian en Egypt, Revue Numismatique, Set, 4, 1, 1897, pp. 373-381, Heyd, W., Histroire du Commerce du Levant an Moyeen Age, trans, F. Reynaud, 2 vols., Amesterdam, 1967, p. 436.

(3) Mathew Paris, English History from the year 1235 to 1273 trans from the Latin by J. A. Giles, 2 vols., London 1852, II, pp. 418-423. Runic man, S., Byzantine Civilization, London 1948, pp. 168-175.

(4) Dopp, Emmanuel Pilloti, op. cit,-28, Introduction, p. xxviii.
وأيضا: ساميه عامر (دكتور): حملات صليبية لم تفز بأرقام في التاريخ، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ٢٠٠٢.

لقد اتسم بيلوتي بصفات كثيرة ولعب دوراً بارزاً لصالح القصر المملوكي أحياناً وتاجراً ونصيراً لبني جلدته ولمصالحه الخاصة أحياناً أخرى كان مسيحياً على المذهب الكاثوليكي[1] وقد كتب الكثير من الرسائل إلى البابا أظهر فيها كرهه للأرثوذكس وتمنى زوال الخلافات التي أدت إلى انفصال الكنيسة القبطية في مصر (المرقسية) عن الكنيسة الكاثوليكية، وأبدى أمله في صلاح العقيدة المسيحية، وما ألم بها من شوائب كم كتب عن عيوب ومفاسد كثيرة في الكنيسة الغربية وطالب بالمزيد من العدل والمساواة وكانت هذه الأمور تثير حرجاً لدى البابا أبو جين الرابع الذي رد عليه أنه لم يكن يوماً مسؤولاً عن الإدارة الدينية الفاسدة في الكنيسة، وليس مسؤولاً عن بداية هذه المشاكل والخلافات ولا عن الغرفة الرسولية Chambre Apostolique وما يدور فيها من مفاسد[2].

لقد كانت مكانته الاجتماعية الرفيعة وإتقانه للعديد من اللغات سبباً في وجود صداقة قوية بينه وبين هؤلاء السلاطين المماليك وخاصة السلطان برقوق والسلطان فرج، وقد ترك بيلوتي وثائق في غاية الأهمية عن الظروف التي تولى فيها السلطان المؤيد الحكم وأشار أن هذه الفترة شهدت فتوراً في حجم التبادل التجاري بين مصر وقطالونيا إلى أن تم توقفها تماماً عام ١٤٣٢ في عهد السلطان برسباي[3]، إلا أنه لم يكتب عن وفاة السلطان المؤيد ١٤٢١م لأنها الفترة الوحيدة التي تغيب فيها عن مصر حيث كان في رحلة طويلة إلى إيطاليا وشبه جزيرة المورة[4]، كما كتب للبابا أيضا العديد من الرسائل والتفاصيل العسكرية الدقيقة عن حروب السلطان برسباي ضد جزيرة قبرص[5]، وأبدى

---

(1) Huart, Histoire des Arabes, Paris Paul Genthner, 1913, 2vols, t. II, pp. 116-117, Wiet, G., L, Precis de L, Histoire d, Egypt Par divers Historiens et Archeologues, cairo, 1932, t. 2, pp. 274-275.

(2) يقصد بالغرفة الرسولية: المكان الذي أعده بابوات روما للتشاور والمراسلات السرية الخاصة، وقد اقتصرت على عدد من الموظفين الثقاة والمقربين جداً من البابا، وللمزيد أنظر:
almustaqbal.new.com.net.

(3) Cambridge Medieval History, vol. 8, pp. 171-173,
Lodge, R. , The Close of the Middle Ages, London, 1922, pp. 5077-508.

(4) Emmanuel Pilloti, op. cit, t. II, pp. 47-48.

(5) Peters, T., The Hajj, The Muslim Pilgrimage to Mecca and the Holy Places, Princeton, 1944, pp. 68-99.

فرحته الشديدة بانتصارات برسباي لأنه كان يحقد على القبارصة بسبب ما فعلوه بمدينة الإسكندرية عام ١٣٦٥م وأبدى حزنه في إحدى رسائله للبابا بأن السلطان برسباي وضع نظماً اقتصادية جديدة وصارمة تقلصت فيها مصالح الأجانب ومنهم بيلوتي الذي لم يستثنى من هذه القيود وأبدى بيلوتي في إحدى رسائله فرحته الشديدة بموت السلطان برسباي واعتبر أن هذا انتقام من الرب على ما فعله برسباي في كنيسة نيقوسيا حيث أشعل فيها النيران عام ١٤٢٦م ويلاحظ هنا التغير الدائم في مشاعر واتجاهات بيلوتي لأي شيء يحدث ضد المسيحيين الكاثوليك حتى لو كان من سلطان مصر وأقرب أصدقاء بيلوتي.

بل أن هذه الرسالة تظهر ميله الشديد للمسيحية وأنه في بعض الأحيان كانت تتغلب هذه النزعة على مصالحه الخاصة كما تظهر رسائله للبابا بهذا الشأن أنه كان على قدر وافر من العلم والمعرفة، لقد أوضحت هذه الرسائل الكثير عن حياة هذا التاجر والرحالة الشهير وحتى حين اقترب سنه من السبعين وأصبحت تجارته في سبيلها للنضوب، كتب رسالة مميزة قال فيها " إن الإسكندرية أولى بلاد الرب، وأنها الأكثر ثراءً في العالم وأن تجارة الشرق والغرب لا يمكن أن تلتقي بنجاح إلا عن طريقها، تمنى أن يعيش فيها طيلة حياته ويقال أن عثر على رسالتين أرسلهما بيلوتي للبابا "الأولى قال فيها أن حلم حياته أن يدفن في الإسكندرية" وفي موضع آخر قال " أنه يتمنى أن يدفن في كنيسة السيدة مريم العذراء في مصر القديمة [1] ولكن لم يتحقق هذا الحلم حيث مات ودفن في مدينة فلورنسا على الأرجح.

وسوف نستعرض المزيد من هذه المراسلات التي توضح لنا عن كتب الصورة الحية للقاهرة والإسكندرية إبان هذه الفترة ونظراً لأن ايمانويل بيلوتي كان رجلاً ثرياً يملك سفناً ومخازن كبيرة في الإسكندرية لذا فإن روايته عن سبل الاستعداد في موانئ أوربا للرحلة إلى مصر هي أصدق ما عثرنا عليه فهو يشير أنه ليس كل من امتلك سفينة وحمل معه عدداً من الركاب أو الحجاج الأوربيين صادقاً في وعوده، بل كثيراً ما واجه المسافرون صعاباً غير متوقعة،

---

(1) Dopp, op. cit, pp. 108-109.

وأيضا العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، جـ ٢٨، ص ٢٨٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ ١١، ص ٢٧٥- ٢٨٩ وأيضا سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ١٤١-١٥٩.

لذلك تدخلت البابوية في وضع قوانين صارمة ورقابة شديدة على أصحاب السفن[1] لأن بداية الرحلة عموماً كانت تبدأ بمباركة البابا لها إلى المشرق، خاصة الحجاج، ورغم هذا يشير ايمانويل إلى أن الحجاج والرحالة واجهوا وعوداً زائفة ومشاق كثيرة على السفن، وأنواع رديئة من الطعام، ومحسوبيات لبعض الركاب على حساب البعض الآخر، وتفرقة واضحة بين الطبقات الثرية والفقراء المعدمين على السفينة وكان من يصل متأخراً لا يجد له مكاناً إلا أسفل السفينة بجانب القاذورات والحيوانات، وكان على كل فرد أن يحمل معه قدراً من المال يعادل ما لا يقل عن ١٥ دوكا بندقياً وعليه أن يؤمن لنفسه مرتبه وغطاء وقفصاً للدجاج، وكان الحجاج يحرصون على حمل أدوية الإسهال لمواجهة الدوستاريا وأيضاً أدوية ملينة وكان الجميع يحرصون على تجنب السفر في شهري أبريل ونوفمبر لصعوبة الرياح وتقلب أمواج البحر كما يشير بيلوتي أن موانئ إيطاليا وفرنسا وصقلية كان بها معلومات دقيقة للتجار عن أحوال مصر اقتصادياً وسياسياً وأسعار البضائع ومقدار الجمارك والمكاييل والموازين[2] ومعلومات ممتازة حول كيفية تخزين البضائع في ميناء الإسكندرية، وكيفية تجنب ملوحة المياه، وسبل الإعاشة، ونظام الفنادق في المدينة، والآداب العامة التي يجب أن تراعى في مجتمع مسلم.

ونظراً لأن ايمانويل بيلوتي تميز دون غيره من الرحالة أو التجار البنادقة بأن عاش فترات أطول داخل مدينة الإسكندرية بحكم صداقته القوية مع السلطان المملوكي برقوق وابنه الناصر فرج، لذلك فإن وصفه كان له طابع مميز وصادق إلى أبعد الحدود، فقد وصف مشاعر الأوربيين تجاه مدينة الإسكندرية وإحساسهم بعظمتها وعراقتها، تحدث عن أسوار المدينة والبوابات والفنار، كما كتب عن منازل الإسكندرية ذات اللون الأبيض الحجري الجميل، وأنه كان يوجد بالمدينة وكالات دائمة لكبار التجار البنادقة، وقناصل لكل جنسية[3] وتألم أيضاً من كثرة التحصينات العسكرية على ساحل المدينة وذلك لحمايتها خاصة بعد

---

(1) Van Gennep, A., Le Ducat Venitien en Egypte, Revue Numismatique, set, 4, 1. 1897, pp. 373-381.

(2) Wiet, G., Histoire de la Nation Egyptienne L, Egypte Arabe de La Conpute, paris, 1937, pp. 563-564.

(3) المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، ج ٤، ص ٣٧٤، سعيد عاشور: قبرص والحروب الصليبية، ص ١٢١ – ١٢٦.

الأضرار والمصائب التي لحقت بالإسكندرية من جراء حملة بطرس لوزجنان عليها ١٣٦٥[1] وألمح إلى الغدر والخيانة ضد شعب الإسكندرية ليس فقط من القبارصة بل شارك أيضاً الجنوية في نهب وسلب المدينة ويشيد ايمانويل قائلاً إن صلابة المدينة وقدرتها على النهوض جعلها تتجاوز محنة هذه الحملة وقد أكد وصف بيلوتي للمدينة الرحالة المعروف كرياكو دي بيتريكولي Kreako De Petreckoli من انكونا Ancona إحدى ضواحي مدينة باليرمو الذي زار الإسكندرية مرة عام ١٤٦٨م [2] وأبدى إعجابه بضوء الفنار وانعكاسه على ماء البحر وأظهر حزناً شديداً في زيارته الثانية حين شاهد تحطم هذا الفنار سبب بناء الأشراف قايتباي لقلعته المشهورة، ويشير بيلوتي أيضاً أن لميناء الإسكندرية عند مدخله رائحة مميزة حيث تفوح رائحة طحالب البحر، وأن المدخل كان ضيقاً للغاية، وخارج الميناء تصطف العربات، والخيول والإبل لحمل البضائع إلى المخازن بعد دفع جمارك عليها[3]، كما يقول إنك بمجرد وصولك للميناء تسمع كل اللهجات واللغات، وأصوات الأذان العالية، وكانت جلبة وضوضاء الحمالين لا تنقطع ليلاً أو نهاراً[4] ويشير أنه لم يكن مسموحاً للتجار دخول المدينة إلا بعد الإفصاح عن مقدار نقودهم وأنواعها سواء كانت فضة أم ذهب وهي نظم لا زال يعمل بها حتى اليوم في موانئ العالم[5]، كما تعرض ايمانويل بدقة لطبيعة مناخ المدينة شتاء وبرودته القارصة ليلاً، وتعرض

---

(1) Huart, Histoire des Arabes, paris, 1913, Vol. 2, pp. 116-117, Wiet, op. cit, t .2, pp. 274-275.

(2) Mas Latrie, Louis de, Traites de commerce et documents divers conscermant Les Relations entre Les Chretiems et Les Arabes de L' A Frique an may en Age, Paris, 1866, 27 vols, t. 2, p. 390, Heyed, W., Histoire du commerce, du Lerant an Mayen Age, 2 vols, Dessau, 1885 – 1886, pp. 61-62.

(3) Lapiclus, I. Muslim Cities in the late Middle Ages, Harvard University Press, 1984, pp. 44-48, 124-127.

(4) Wansburgh, J.A. Venice and Florence in the Mamluk Commercial Privileges, Bso as, 28, 1965, pp. 483-495.

(5) Merchant, G., La Prise d' Alexandrie, on Chronique du Roi Pierre de- Lusignan Geneve, 1877, pp. 21-42.

وأيضاً المقريزي السلوك، جـ ٤، صفحة ٤٦، ٤٧، سعيد عاشور: قبرص والحروب الصليبية، ٦٣-٦٤.

للأمطار والعواصف ومواسمها وأثرها على حركة السفن بالميناء، كما تكلم حتى عن مياه الشرب القادمة من النيل عبر ترع وطرق تخزينها، وتنقيتها ووصف الآلات والسواقي وتحدث عن شكل خزانات المياه وطريقة بناءها[1].

كما وصف بدقة حي بولكلي الذي يقع شرق المدينة وموضع الكنيسة التي أعدم فيها القديس مرقص، وتعرض أيضاً لأسواق الإسكندرية بأنواعها، وأن السوق كان موطن تجمع التجار من كل الجنسيات وأن الجنوية والبنادقة كانوا الأكثرية، كما أشار إلى وجود جالية من اليهود واليونانيين والقبارصة، ويقول إن الجميع كانوا يقيمون في فنادق ما عدا الجالية الفرنسية التي سمح لها بالإقامة في بيوت خاصة بهم ويرجح أنها تابعة لقنصل فرنسا في الإسكندرية[2]، وقد وصف البيوت أنها بيضاء ورائعة، يحيط بها الحدائق الجميلة وخاصة البيوت القريبة من البحر، كما وصف ايمانويل أسوار المدينة وأنها مبنية من الحجارة القديمة يتخللها تكنات للحراسة، ومن المعلومات الطريفة التي كتبها أن كل من سكن الإسكندرية أحبها وأخلص لها ما عدا ما حدث من البعض أثناء حملة بطرس لوزجنان على الإسكندرية بدليل أن سكان المدينة من كل الجنسيات اشتركوا مع حراس المدينة في التنبيه لأي خطر جديد قادم من الساحل ، وذلك عن طريق إشعال فوانيس في شرفات منازلهم، أما بوابات المدينة فقد أشار إلى وجود ٣ بوابات باب البحر، وباب رشيد وباب الفلفل وأنها مصنوعة من الأحجار الضخمة[3] وعليها حراس لا يحملون سلاحاً بل معهم مفاتيح خشبية ضخمة لتأمين البوابات، كما وصف ايمانويل أيضاً طريقة أهل الإسكندرية، وخاصة علية القوم منهم في استقبال الضيوف وإكرامهم، وأن ضيوف حاكم المدينة كانت لهم مراسم استقبال خاصة، حيث يكون الحاكم شخصياً في استقبالهم بعد أن يحيط نفسه بموكب فخم وفرش وثيرة حيث يفرش القصر بالسجاد الأحمر الفخم وكانت تقام الولائم ويتم تبادل الهدايا الفاخرة بين حاكم

---

(1) Sauneron, J., Voyage en Egypt du Venitian Anonyme, 1589, Cairo 1970, p.94.

(2) Dopp, Le Traite d' Emmanuele Piloti, pp. 23-24, pp. 95-103.

(3) Blum Field, R.M., Alexandria Topography dans, Bulletin de La Societe' d' Arches Poyied' Alexandrie. Paris, 1905, pp. 27-45, Sauneron, op. cit, pp. 93-95.

المدينة وضيوفه خاصة إذا كانوا في مرتبة السفراء والقناصل وكبار التجار، كما وصف بيلوتي هذه الهدايا أنها عبارة عن فراء السمور والأحجار الكريمة والحيوانات النادرة [1].

ولم يترك ايمانويل بيلوتي شريحة واحدة في الإسكندرية إلا تكلم عنها فهو يقول إن الزوار الفقراء لم ينالوا أي اهتمام أو إعفاءات جمركية مثلما كان الحال للأغنياء، كما يشير إلى وجود خلافات كثيرة بين أقباط مصر والمسيحيين الغربيين خاصة في الصلاة والعبادات والاحتفالات الأخرى[2]، وأضاف يقول إن ملابس أهل الإسكندرية الأصليين اختلفت عن ملابس الجاليات الأخرى مثل القبارصة واليونانيين، واليهود الأحباش وأن زي المرأة في الإسكندرية كان يغلب عليه اللون الأبيض، وأنها كنت تلبس نقاباً اسود دائماً، أما ملابس سيدات الطبقة الراقية، فكانت ملونة وزاهية ومن الحرير الفاخر وهي عبارة من سراويل مزركشة بخيوط من الذهب ويلبس عليها أحذية طويلة، أو خف كما وصف أيضاً ملابس الحراس وأن لكل حارس فرسه الخاص وحول وسط الحارس قطعة من القماش يستخدمها للصلاة، أما حراس القصور فكان يميزهم الحزام المطرز بالذهب والفضة[3].

كما وصف ايمانويل الطراز المعماري لفنادق الإسكندرية بأنها كانت مصممة لاستقبال التجار والحجاج والزائرين أي لاستقبال الأفواج والمجموعات عموماً وكان يوجد بالفندق مكان مخصص للعبيد على أنهم نوع من أنواع البضائع القادمة لمصر[4]، وكان يخصص لهم أفنية خارج الفندق كما يخصص للحيوانات والطيور مكان آخر وكان النزلاء يدفعون أجر الإقامة لمندوب بلدهم في الإسكندرية الذي هو مندوب عن السلطان، وكان على الجميع احترام الصلاة

---

(1) Balog, p., The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York, 1464, pp. 12-19.

(2) Maillet, B., Description de L' Egypte, Paris1735, 2 vol. pp. 77-82.

(3) Garcin, J.C., The Regime of the Circassien Mam Luks, Cambridge Univ. Press, 1998, pp. 298-297, Wansburgh, J., A Mamluk Ambassador to Venice in 913/1507, Bsoas, 1963, pp.509-522.

(4) Renaudot, E., Historia Patriakcharum Alexandria, Paris. 1713, pp. 32-35.

والأذان وكان يحيط بكل فندق الحدائق والأشجار والنباتات الجميلة، كما أقيمت أيضاً كنيسة صغيرة لصلاة المسيحيين الكاثوليك الوافدين[1] الذين يتمتعون بحماية كبيرة من قناصلهم حتى لو كان ضد حاكم المدينة نفسه، كما سمح للزائرين بدفن موتاهم في كنيسة القديس ميخائيل التي يملكها البنادقة، وكان البنادقة يشعرون بالفخر لهذا العمل الذي يزيد من نفوذهم بين باقي الجنسيات الأخرى، كما كثر حول الفنادق عدد المترجمين المختصين لاصطحاب كل جنسية إلى الأماكن المعروفة لديهم وخاصة المزارات الدينية مثل مسجد النبي دانيال حيث يعتقد الأوربيون بوجود مقبرة وكنوز الإسكندرية الأكبر أسفله، وكذلك زيارة كنيسة القدس مرقص في حي بولكلي[2] ورغم الاعتقاد السائد بأن البنادقة نقلوا رفات القديس مرقص إلى البندقية حيث أقيمت عليه كاندرائية سان مارك St. Mark إلا أن كنيسة بولكلي ظلت لها المكانة المقدسة لفترة طويلة[3] كما حرص زوار الإسكندرية على زيارة الموقع الذي أعدمت فيه القديسة كاترين St. Cathreine والتي قتلت بناءً على تعليمات من الإمبراطور الروماني مكسينتوس[4] ورغم انتقال رفاتها إلى جبل سيناء إلا أن هذا الموقع ظلت له قدسيته كما كانت منطقة عمود السواري من المزارات الهامة أيضاً رغم المعلومات الخاطئة عن العمود في القرن ١٥م على أنه أقيم تخليداً لذكرى الإسكندر المقدوني وليس لذكرى الحاكم الطاغية الإمبراطور دقلديانوس بل كان الحجاج يسمونه عمود بومبي[5] ويرجع السبب في تداخل هذه المعلومات إلى أن معظم هؤلاء الزوار كانوا من الحجاج والتجار الأميين، وكانت المعلومات

---

(1) Fischel, W., A Latin Biography of Mamluk Sultan Barquq of Egypt, 1399 written by B. Migmanelli, 1959, pp.53-57, 1418, 1472.

(2) Lane, F.C., Merchant of Venice, Company's East, 1418-1419, Johns Hopkims University Press, 1944, pp. 95-116. وأيضاً WWW. Akhbareladab, org. eg, 449/1000.html.

(3) Van Essen, Traditions of Coptic Church in Alexandria, p. 297.

ورد في مراسلات بيلوتي إلى البابا الكثير من التفاصيل الرائعة في الرسائل الخطية التي توضح حقيقة اللمحة الجمالية للإسكندرية في هذه المرحلة.

(4) Dopp, Le Traite d' Emmanuele Piloti, (Price of House, Products of Alexandria) pp. 36-38.

(5) Sauneron, J., Voyage en Egypt de Pierre, 1547 Belon, Cairo 1970, pp.92-102, Dopp, Emmanuele Piloti, pp. 23-24.

التاريخية عندهم ضئيلة للغاية خاصة وأن علم الآثار لم يكن معروفاً بمفهومه الحالي.

ويشير ايمانويل بيلوتي أن موظفي ميناء الإسكندرية كانوا شديدي الحرص والالتزام مع القادمين، وكان زوار المدينة من كل الطبقات يحرصون على ما يحملونه من نقود وكان أفضلها وأقواها الدوكات البندقية والفلورين الفلورنسي[1] لأن الرحلة إلى الإسكندرية والإقامة فيها كانت مكلفة للغاية، و يشير أن منطقة الميناء وكانت رمزاً للحيوية والنشاط والصخب، وكان حاكم المدينة يعلم بمجيء السفينة ونوع حمولتها قبل وصولها بل كان يعرف أيضاً قيمة ضرائبها[2] وكان الحاكم يبلغ السلطان في القاهرة بهذه المعلومات أولاً بأول، وقد لعب الحمام الزاجل دوراً هاماً لوصول المعلومات ودقتها وحرص الجميع على انتقاء أجود سلالات الحمام والاهتمام بتربيته وطعامه ومحطاته وأبراجه لأنه كان ركيزة رئيسية للاقتصاد المصري، ويضيف ايمانويل أنه ومعه عدد من التجار والأصدقاء دعوا إلى وليمة فاخرة أقامها أحد المسؤولين في الميناء، وأن الجميع عاملهم باحترام كبير، ويحاول ايمانويل في هذه الإشارة أن يدحض الاتهامات التي أشاعها البعض عن سوء المعاملة والتفتيش الذاتي المهين الذي كان يلاقيه الحجاج والزوار في الميناء، ويقول إن هذه الاتهامات تتنافي مع مكانة الإسكندرية اقتصادياً، وقد أكد رواية ايمانويل أحد الحجاج المسيحيين ويدعى "الراهب سيمون" أنهم لاقوا كل ترحيب، وأن التجار كانوا يتسلمون بضاعتهم على الفور وأن أصحاب الفنادق كانوا يسمحون لهم بحمل أقفاص الدجاج واستئجار الفرن[3] وأن أحداً لم يظلم داخل المدينة ما عدا بعض السلبيات النادرة، كما يضيف ايمانويل أن سوق المدينة الملحق بالميناء وقد عرضت فيه كل أنواع التوابل بروائحها النفاذة ، وخاصة الفلفل، كما تحدث أيضاً عن الطيور

---

(1) داود عبده داود: ديرسانت كاترين وأهميته في التاريخ البيزنطي، مجموعة محاضرات مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ١٩٦٥م، عبد الحميد صبحي: الأحوال الاجتماعية لديرسانت كاترين، مقال، مكتبة الإسكندرية رقم ٦٩٧٨.

(2) Emmanuel Pilloti, La Caravane du Cairo a La Mecque, p. 43.

(3) Ostrogorsky, G., A History of the Byzantine States, Trans by Hussey, oxford,1956, p. 27, Cam. Med. Hist., Vol. I, p. 26, Hussy, T.M., The Byzantine World, London, 1967, pp. 13-14.

الغربية والحيوانات الإفريقية النادرة والأواني الخزفية والزجاجية القادمة من البندقية.

كما أعطى بيلوتي وصفاً رائعاً لسوق تجارة الرقيق في الإسكندرية وخاصة رق الأطفال فقد تحدث عن شكلهم وطريقة تجمعهم بجوار الميناء، والمواصفات المطلوبة في الطفل والتي ترفع كثيراً من سعره مثل سلامة أطرافه وحسن مظهره وقوته وموطنه وأشار أن البنادقة كانوا من أشهر تجار الرقيق في هذه الآونة، وألمح بصورة عدائية أن الجنوية كانوا يتحايلون على السلطان المملوكي ويهربون على السفن النساء الراغبات في العمل في مهنة البغاء في مصر، بل كانوا يتهربون من دفع الرسوم المطلوبة وكانوا دائماً مصدر إزعاج للسلطات المصرية وخاصة في هذا النوع من التجارة.

وأشار بيلوتي أيضاً أن البنادقة وخاصة أصحاب السفن منهم كانوا على علم بأفضل مواعيد السفر من وإلى الإسكندرية وأنهم تجنبوا السفر في شهر أبريل حيث تكثر رياح الخماسين وأيضاً في شهر نوفمبر لتقلب الطقس والبحر، فإن الميناء كان يعج بالضجيج والحركة والزحام في غير هذه المواعيد[1].

وقد أبدى بيلوتي امتعاضه وحزنه حين أشار إلى انتشار الفساد بين بعض موظفي ميناء الإسكندرية إذا اضطربت أحوال السلطان في مصر، وأنهم أساؤوا معاملة الزوار والتجار وكانوا يجبرونهم على دفع إتاوات وأن هؤلاء كانوا يضطرون إلى إخفاء نقودهم بطرق عديدة خوفاً منهم[2] أو من مصادرتها ورغم المبالغة الشديدة التي تحدث بها بيلوتي إلا أنه يبدو أن هذه التصرفات كانت بداية التعنت والمبالغة في أسعار الجمارك من قبل السلطات المملوكية حين بالغوا في فرض الضرائب على تجارة التوابل مما دفع البنادقة بالتعاون مع البرتغاليين إلى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح رغم أن بيلوتي لم يعاصر هذه الأحداث إذ

---

(1) Ashtor, E. , Levant Trade in the Later Middle Ages, Princeton, 1981, pp. 12-15, pp. 44-52.

(2) صبحي لبيب: تاريخ تجارة الإسكندرية في القرن (١٤م) حملة الغرفة التجارية لمدينة الإسكندرية، العددان ١٧٢-١٧٣، فبراير ١٩٥١، ص ٢٦-٣٠، وأيضاً جمال الدين الشيال.

(دكتور) : الإسكندرية في العصرين الأيوبي والمملوكي، مجلة الغرفة التجارية للإسكندرية، ١٩٤٩، ص ٩٦.

أن نهاية هذا المخطوط هي عام ١٤٣٨[1] وهي سنة وفاة السلطان برسباي ورحيل بيلوتي عن مصر إلا أننا نرى أنها كانت بداية الضربة القاضية التي وجهت للاقتصاد المصري بعد ذلك ورغم مصداقية بيلوتي في رواياته عن مصر إلا أنه انفرد بذكر هذه السلبيات عن موظفي الجمارك " فقد أشار أحد الرهبان الإنجليزي يدعي سيمونيوس Simonius وزميله هوجو Hugo الايرلندي عكس ذلك تماماً حيث قالا أنهم استقبلوا بحفاوة وتكريم وأفرجت عن كل متعلقاتهم على السفن بسرعة كبيرة كما سمح لهم باستخدام الفرن وحمل قفص الدجاج الخاص بهم بل إن بعض التجار دعوهم على وليمة عشاء فاخرة على شرف حاكم المدينة نفسه وأشار أنهم في الصبح زاروا سوق المدينة ونعموا برائحة التوابل النفاذة، وشاهدوا غرائب الطيور والحيوانات الإفريقية بل أنهم اشتروا بعض الأواني الخزفية والزجاجية والأكثر من ذلك أشاروا إلى وجود العديد من المترجمين لكل اللغات.

ويشير بيلوتي أيضاً أن أسواق الإسكندرية كانت تزخر بالمرجان المستورد من برشلونة والزعفران وفراء السمور من روسيا والنحاس الأحمر والفضة وأن الإسكندرية كانت مصدراً هاماً للقمح والسكر والكتان والعطور والليمون وأنواع عديدة من الحلوى المسكرة التي تتجه من مصر على إلى القسطنطنية مباشرة[2]، وقد أبدى بيلوتي إعجابه الشديد بالمسلة التي وجدت في الإسكندرية[3].

أما الريف المصري فقد كانت كتابات بيلوتي عنه مصدراً علمياً هاماً استهوى علماء الصيدلة والحيوان في أوربا آنذاك للحضور إلى مصر والتعرف على النباتات والأعشاب والحيوانات الغريبة مثل الضبع والنمس وأشهر هؤلاء العالم بير بيلون دي مانس Pierre Pillonide Mance وبروسبيرو البيني Prospero Albeni، لقد كتب بيلوتي أساليب الزراعة في مصر وقال إن المصريين كانوا

(1) Sauneron, Voyage en Egypt op. cit., pp. 93-95, Barozzi, Z., Ventian Embassy, Venice, 1875, pp.18-19.
(2) Nicoly, N., Les Navigations, Peregrinations et Voyage Faictes en La Turquie Heyd, Histoire du Commerce du Levant, 11 (Ports, Ships pp. 427-437, spices, pp. 443-447, taxes, pp. 449-453.
(3) Roebuck. C.A., The Crain trade between Greece and Egypt, London. 1950, pp. 236-247.

يتبعون نفس طريقة الفراعنة في الزراعة وهم على علم بمواسم الفيضان وأضراره ومنافعه وكيفية تجنب مخاطره، وأسهب في رسم صورة ساحرة للريف المصري وصيد الأسماك، ووصف الفتيات وهم يعملن في الحقول ويتسلين بالغناء والرقص إلى الأمام والخلف وعليهن ثياب براقة زاهية الألوان، لقد أعطي وصفاً رائعاً لمدينة رشيد وقال كان الأهالي يقدمون لنا الهدايا من الرمان والبطيخ والتين والبلح والموز ، وقد ألهب حماستهم أشجار النخيل وكثافتها على طول الطريق وبرع في رسم صورة النخلة والبلح الأحمر وتعجب من شجرة الجميز التي تنمو طوال العام كما أبدى إعجابه بطعم وحلاوة طائر السمان والقماري وغيره من الطيور المهاجرة في الخريف(1).

ثم توقف بيلوتي طويلاً عند النباتات الشوكية الكثيفة التي تزرع في رشيد وأطلق عليها اسم (القالي) ويقول إن البنادقة كانوا يستخدمونه كوقود أو يخلطونه بالرماد المتبقي من الحجر الجيري ويصنعون منه مادة متحجرة يتم حفظها بعناية وتصدر بعد ذلك إلى البندقية حيث تخلط مع مكونات أخرى ويصنع منها الزجاج البلوري الشهير الذي يصنع منه أفخر أنواع الكريستال والكئوس والمصابيح المعلقة وأوعية الذخائر الدينية(2) وأشار أن هذه الأواني كان يعاد تصديرها إلى مصر ويشير بيلوتي أنه احتكر هو شخصياً هذا النوع من التجارة وأثرى ثراءً كبيراً منها(3) ، ومن أطرف الروايات التي كتبها ايمانويل بيلوتي عن الريف المصري هي كيفية تفريخ البيض حيث قال إن المصريين في العصر المملوكي بنوا نفس القباب التي بناها الفراعنة لتربية الدجاج وأنهم حافظوا على طريقة الفراعنة في التفريخ حيث لم يضع المصريون البيض تحت جناحي الدجاجة بل كان يسير الرجل وينادي في البوق ليجمع البيض من الفلاحين ليتم التفريخ بصورة جماعية حيث يوضع البيض في أفران ضخمة مغطاة بروث

---

(1) Dopp, Traite d' Emmanuel Piloti, introduction, Sauneron, J, Voyage en Egypt du Ventien Anonyme, 1989, Cairo, 1970,pp. 233-349.

(2) Wansburgh, J., A Mamluk Ambassador to Venice in 1507, BSOAS, 1963, pp. 503-529.

(3) White House, H. , Towards a kind of Egypt o Logy, The Graphic Documentations of Ancient Egypt, 1587-1666, London, 1897, pp. 65-73, Suyo, E., Un Venitien en Egypte et en Nubie, London, 1933, pp. 51-63.

الحيوانات والقش ويوقد الفرن في درجة حرارة معينة، ليتم فقس مالا يقل عن ٤٠٠٠ بيضة في المرة الواحدة، ثم يسير المنادي في اليوم التالي ليعلن عن إتمام الفقس وكان الفلاحون يجمعون الكتاكيت بالمغرفة ويبتسم بيلوتي ضاحكاً أنه شاهد ذات مرة أن تبعثرت هذه الكتاكيت في الشوارع من صاحبها وكانت معجزة أن تمكن من جمعها مرة أخرى، وقال أيضاً إن المصريين كانوا يبيعونها بالمغرفة وليس بالواحدة[1]، كما كتب أيضاً عن التماسيح المنتشرة على شواطئ رشيد وأنها كانت تمثل خطورة شديدة للصياديين والمزارعين نظراً لأن التماسيح كانت تضع بيضها على رمال الشاطئ وتفقس بفعل حرارة الجو، ويشير بيلوتي أن معركة لا تنقطع بين أهالي رشيد والتماسيح، وكثيراً ما نجح الأهالي في صيد التمساح وبيعه في سوق السمك بجوار ميناء الإسكندرية[2]، وأنه هو شخصياً قال "لقد تذوقته وطعمه لذيذ".

ويقول بيلوتي أيضاً إن أهل هذه المدينة كانوا على درجة كبيرة من السرور وحسن الضيافة، وأنهم قدموا الماء العذب للزوار في أواني فخارية وأن السقائين انتشروا في شوارع المدينة يحملون الماء في قرب من جلد الجمال والخراف لتكون " صدقة لله"، يقول بيلوتي أن من بين أصدقائه من كان يقتنع أن مياه نهر النيل تشفى من الأمراض لأنها حلوة ونقية ورائحتها طيبة، ويضيف أيضاً أنه زار بعض الأسر في بيوتهم وشاهدهم يضعون حبات اللوز (أو نوى المشمس) في الماء حتى الصباح ليكون الماء نقياً حلو المذاق[3] ، إلا أنه حذر فقال " من سلك طريق النهر ليسافر من الإسكندرية إلى القاهرة عبر رشيد يكون عرضة للقراصنة" ويقول أيضاً أنها مدينة غريبة تفتح مساجدها طوال الليل لمن يحب

(1) Volkoff, O., Le voyage en Egypte de Johnn Wild, 1606-1660, Cairo, 1970, pp. 10-18, Sauneron, op. cit, pp. 43-47.

(2) Lane, E.W. The Return of the Mahmal Procession in Cairo, pp. 439-462, Volkoff, O., Le Voyage de Johann Wild, pp. 23-62.

(3) لقد سبق أن أشار جان دي جوانفيل في رحلة إلى مصر بصحبة الملك لويس التاسع أثناء الحملة الصليبية السابعة، أن المصريين كانوا يضعون المياه في قلة بيضاء مصنوعة من الفخار، وكانوا يعلقونها على الخيام فتصبح باردة ونقية وحلوة المذاق، وكأنك استخرجتها من نبع صافي، وقال إنها عادة مصرية قديمة، وللمزيد أنظر: جوانفيل، سيرة القديس لويس، ترجمة د/حسن حبشي ص ٤٨ وأيضاً سامية عامر (دكتور): المائدة الصليبية في المشرق الإسلامي، بحث منشور في محلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ٢٠٠١ن ص ٣٦.

الراحة من عناء الطريق وأن بعض أصدقائه أبلغوه أن اللصوص يستغلون أحياناً حالة التعب والنوم العميق للزوار ويقومون بسرقتهم، وكان العرف عند أهل رشيد أن لا يدان اللص لمجرد الاشتباه بل يدان إذا ضبط متلبساً، ولأن بيلوتي أحب مصر جداً نجده يتدراك هذه المعلومة ويخفف من هجومه تجاه هذه السلبيات بسرعة فيقول: "إنها حالات نادرة"[1]، مما يدل على عمق احترامه وحبه لمصر وحضارتها كما اعترض أيضاً على بعض ما حكي له أن بعض الفتيات كان يسهل عليهن السير في طريق البغاء مقابل بعض الحلوى والمال ودافع عن ذلك قائلاً إن العادات والتقاليد في مصر تؤكد استحالة حدوث هذه الأمور وأنها مجرد حالات فردية.

ومن روائع ما كتبه بيلوتي عن مصر أيضاً تصوره ووصفه لأهرامات الجيزة فقد اعتقد مثل غيره من الرحالة والحجاج أن الأهرامات هي مخازن الغلال التي نصح سيدنا يوسف فرعون مصر بإنشائها لمواجهة السنوات العجاف وكتب يتساءل عن كمية هذه الحبوب التي تملأ قاعدة الهرم، وقد دخل بيلوتي داخل الهرم وهو لا يعرف أي شيء عنه وقال أنه سمع أن بداخله مقابر للفراعنة وكنوزهم، بل أشار إلى وجود أسماء كثيرة أجنبية حفرت على جدران الهرم، وأن البدو المحيطين بمنطقة الهرم كانوا في غاية الجشع والنهم لأخذ كل ما هو ثمين وغالٍ من الزوار، لأن هذه الفترة من حياة بيلوتي لم تكن قد ظهرت بعد الكتابات المؤلفات التي توضح حقيقة هذه القيمة الأثرية الكبيرة[2].

من أكثر الروايات إثارة في كتابات بيلوتي ما أشار إليه حول نوع آخر من التجارة التي راحت حول منطقة الهرم ألا وهي تجارة قائمة على استخراج المومياوات المصرية وتقطيعها وطحنها لبيعها في أسواق أوربا بأسعار فلكية وقد أعلن منذ البداية أنه كره هذا النوع من التجارة وتشاءم منه لكن ما كتبه في هذا المجال يعد تراثاً تاريخياً بحق[3]، فقد تصور بيلوتي مثل غيره من التجار أن هذه الجثث ما هي إلا دواء يشفي من الكثير من الأمراض ولم يفطن إلى

---

(1) Honey, W.B. , Glass: A Handbook for the Study of glass Vessels of all Period, London, 1946, pp. 50-53, Dorigato, A., Murano Glass Museum, Milan, 1986, p.17.

(2) Alpinus, Historiae Naturalis Aegypati, pp. 218- 247.

(3) Dopp, Traîte de Pilloti, pp. 38-40, Graw Ford, O.G.S., Same Medieval theories about. The Nile, pp. 6-29.

معتقدات المصريين عن البعث والخلود في العالم الآخر، ولم يكن يعلم أي شيء عن التحنيط ومغزاه بل قال" "إنه ساد في أوربا اعتقاد أنه من يحصل على قطعة من المومياء وقام بطحنها فإنها تشفي من الكثير من الأمراض"، وأضاف بيلوتي أنه قرأ في كتابات ابن سينا الطبيب والفيلسوف المعروف أن دواءً يستخرج من المومياء يشفي من أمراض الكبد والطحال والقلب والطفح الجلدي خاصة إذا أضيفت له أنواع معينة من النباتات والأعشاب المصرية، ويشير بيلوتي أنه شاهد فعلاً المومياء وقال إن لونها " أسود داكن بفعل مادة القار " البتومين" التي حفظت فيها وقال إن التجار كانوا يطلقون على هذا الدواء اسم التنويعة البيضاء Fillo Vierge [1]، وكانت تعقد صفات بأسعار خيالية بين البدو والتجاز وساد اعتقاد في أوربا أن مومياء الفتاة الصغيرة أفضل من مومياء كبار السن وأغلى ثمناً وأن الدواء المستخرج من رأس المومياء أفضل من باقي الجسد ويضيف أن المصريين كانوا يقطعون المومياوات قطعاً صغيرة ويبيعونها في الأسواق للزوار القادمين لهذا السبب[2]، وأن معظم الأجانب كانوا يخفونها بين سعف النخيل ويغلقونها جيداً لإخفائها عن أعين صاحب السفينة الذي إذا اكتشف هذا داخل السفينة ربما يلقي بصاحبها في البحر للتشاؤم الكبير الذي أصابه، ولم يمارس هذه التجارة الكثيرون ومنهم بيلوتي الذي كرر في عدة مرات أنه لم يمارسها على الإطلاق رغم كثرة علاقاته ومعارفه في القاهرة ممن يساعدون بيلوتي في الحصول عليها [3] وقد عثرنا على العديد من الروايات لبعض الأثريين والرحالة الذين زاروا مصر إبان هذه الفترة وقد أيدوا وصف بيلوتي لهذه التجارة ومن أهمهم بيتروبلافالي Pietro Pillavlly، والأثري المعروف بيرو ليجوريو Pirro Liggorio وجان لافونتين Gun De la Foutaine [4]،

(1) وللمزيد عن الحياة الاجتماعية في مصر في عصر المماليك أنظر سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ص ٣٧، ٤٠، ص ١٢٧-١٤٠ أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٩، ص ١٣٦، جـ ٥ ص ٤١، طبعة كاليفورنيا، المقريزي: السلوك جـ ٢، ص ٥٧٤. Volkoiff, op. cit., .Adventures on the Journey, pp. 10-18,

(2) Dopp, Traite d' Emmanuel Pilloti, pp. 32-34, Edwards. I., The Pyramidos of Egypt, The Gizeh Group, Penguin, 1962, pp. 116-1169, Petrie, W.F., Pyramids and Temples of Gizeh, London, 1893, P.84.

(3) Sauneron, The Explores Mummy fields of Saqqara, p. 116, Petrie, op. cit,, Mummy as a Drug, p.84.

(4) Harris, R., Medicine The Legacy of Egypt Oxford. 1971, pp. 130-137, Heyd, Histoire du Commerce, Mummy as a commodity t. II, pp. 635-636.

وغيرهم ويضيف ايمانويل بيلوتي أن هذه التجارة قد أصابها الغش والتدليس حيث قام بعض التجار اليهود بتحنيط جثث المجرمين وأرباب السجون وتغطيتها بالقار وتقديمها للتجار الأجانب على أنها مومياوات أصلية[1]، وقد ظلت هذه الاعتقادات في أوربا إلى أن حدثت الثورة المعروفة في علم الآثار والحفريات وعرف الجميع قيمة التراث والحضارة المصرية القديمة وتهافتوا في ا لحصول على المومياوات ولكن ليس لتقطيعها وطحنها بل لكي تعرض كاملة في متاحف إيطاليا وفرنسا وإنجلترا [2] .

وهناك نوع آخر من التجارة كتب عنها ايمانويل بيلوتي حيث عمل هو فيها وتهافت تجار العصور الوسطى عليها وعلى الحصول على امتيازات وتسهيلات تجارية بشأنها، ألا وهي تجارة زيت البلسم Balsam المستخرج من تلك الشجرة المعروفة في حديقة المطرية، فقد انفرد بيلوتي بذكر حقائق في غاية الأهمية عنها باعتباره واحداً من أشهر التجار الذين عملوا بها وحصل على امتيازات ضخمة من السلطان فرج بن برقوق في الحصول على كميات كبيرة منه وقد كان يصدرها إلى أوربا ويجني من ورائها أرباحاً طائلة، وحقيقة أن هذا النوع من التجارة تحدث عنه الكثير من الرحالة والحجاج خاصة الذين قدموا لزيارة ديرسانت كاترين[3]، فقد كان الحاج يرلابدان يمر على حديقة المطرية التي كان لها قدسية كبيرة عند أقباط مصر باعتبارها المحطة الآمنة التي اختفت فيها السيدة مريم العذراء وابنها السيد المسيح في رحلة الهروب نحو مصر هرباً من بطش الحاكم الروماني[4] لذا سادت اعتقادات في أوربا أن دواءً يستخرج من نبات البلسم في هذه الشجرة يشفي من الكثير من الأمراض وأهما الرمد والعقم والتسمم[5] ويقول بيلوتي أن السلاطين المماليك اهتموا بهذه الشجرة اهتماماً كبيراً وعينوا لها موظفين مختصين للإشراف على المزارعين وعلى

---

(1)

(2) Day, J., The Medieval Market Economy, Oxford, Univ. Press 1987, pp. 62-73.

(3) Thompson, D., Mummy Portraits From the Paul Getty Museum, 1982, introduction, p. 3 .

(4) Dopp, Pilloti, pp. 46-52, Sauneron, Sauneron, Voyage en Egypt de Pierre, Belon, pp.113-117, CF. also, The Express Mummy fields, p. 117.

(5)Piet della Valles, The Mysterious Fayum Portrains for Mummies of a Man and Woman, pp. 18-19, 122-125, Kiechel, H., Teyfel, Fear of Fire Mummy Pits, pp. 161-162.

عملية عصر وتنقية الزيت المستخرج من الشجرة بصفة دورية[1]، ويضيف أحد الرحالة والحجاج المعروفين ويسمى كريستوفر هارانت أن شاهد داخل الحديقة ملفات ضخمة تسجل فيها كمية العصارة المستخرجة منها والتي كانت عبارة عن سائل أبيض يتحول إلى اللون الأخضر ثم إلى ما يشبه عسل النحل وهو دهن الملمس وكان يتم تجميع هذا السائل في زجاجات كبيرة تصدر إلى أوربا وتباع داخل مصر بأسعار فلكية حيث حرصت علية القوم من النساء على شرائه ليستخدم في أغراض التجميل واستعادة الشباب، ويقول بيلوتي إنه حرص شخصياً ليس فقط على الحصول على الزيت بل أيضاً على بقايا الأوراق التي كانت تعصر بشدة من خلال قطعة قماش قطنية ويعاد استخدام الفضلات المتبقية أيضاً في أغراض طبية كثيرة، ويفتخر بيلوتي قائلاً "إنه حظي برعاية خاصة من صديقه السلطان فرج بن برقوق الذي أعطى له امتيازات كبيرة وتسهيلات خاصة للحصول على كميات وفيرة من الزيت[2]، كما يضيف بيلوتي أنه حالة من الركود الاقتصادي التي بدأت تصيب مصر قد أثرت على زراعة شجرة البلسم والاهتمام بها وأن كراهية المصريين الشديدة للسلطان فرج وجبروته أدى إلى تدهور الأحوال الاقتصادية للبلاد وأثر على مشاريع الزراعة بصفة عامة واشجار البلسم على وجه الخصوص كما افتقدت هذه التجارة أيضاً بسبب الغش التجاري مصداقيتها بسبب غش بعض التجار لها بإضافة سوائل أخرى يصعب اكتشافها إلا بالاستخدام والأثر الضعيف الذي تتركه في علاج المرض. وقد أيد قول بيلوتي كريستوفر هارانت الذي أضاف أن شجرة البلسم تدهورت تماماً حتى لم يعد في حديقة المطرية حتى عام ١٤٧٦ إلا شجرة واحدة[3].

أما عن رحلة الحجاج المسيحيين إلى دير سانت كاترين فقد عثرنا على رسالة رائعة بعث بها ايمانويل بيلوتي إلى حديقة البابا أبو صين الرابع تلك التي اشتملت على تفاصيل مثيرة ورائعة عن الرحلة إلى ديرسانت كاترين رغم أنه أشار صراحة إلى عدم قيامه شخصياً بهذه الرحلة بل سمع عنها من بعض أصدقائه ومعارفه وأهمهم الراهب الفرشيسكاني نيكولودي بوجيبونسي ١٣٥٠م

---

(1) White House, H., Egyptology and Forgery in the 17th Century, Journal of History Collection 12, 1989, pp. 187-195, Pietro della Valle, op. cit, pp. 19-20 journey to Cairo, Excavation of Mummies, pp. 370-392.
(2) Captic Mansucripts Sent Mummies back to Noples via Sicily, p. 399.
(3) Ashtor, E, Levant Trade in the Later Middle Ages, Princeton, 1981, pp. 17-62, Traite de Emmanuel Pilloti, pp. 32-34.

Leonardo De Frisco وليوناردو دي فريسكو Nicolo de Poggobonsi ونيكولاس دي مارتوني Nicolas De Martoni [1]، فقد كتب بيلوتي عن مدة الرحلة ووصفها بدقة شديدة، وأظهر صعوبتها والقوانين التي تحكمها والتي لعب فيها بدو الصحراء الشرقية دوراً خطيراً فقد تحدث عن المرشدين والأدلاء ، وضيافة البدو، وتقلبات الجو، لقد كتب عن تفاصيل تدفعنا أحياناً إلى عدم التصديق بأنه لم يقم هو شخصياً بهذه الرحلة، كتب بيلوتي عن حرارة الشمس ووعورة الطريق من القاهرة إلى الدير ، أشار إلى الشغف الكبير الذي شعر به هؤلاء الحجاج لاستكمال الرحلة، وأشار إلى الكثير من المعجزات حول القديسة كاترين وقبرها، والتساؤلات التي شغلت الكثيرين آنذاك عن محتويات القبر، هل به رأسها فقط أم كل الجسد. أشار إلى تجارة دنيئة قام بها البعض باقتطاع أجزاء من رفاتها وتصديرها إلى ملوك وأمراء أوربا الذين دفعوا مبالغ طائلة للزوار للحصول عليها وذلك[2]، ليتبركوا بها في قصورهم وينعموا بالمعجزات والخيرات التي تأتي لمن يحتفظ بقطعة من رفاتها، كتب بيلوتي أيضاً وصفاً رائعاً لرهبان ديرسانت كاترين وحالة الرعب التي يعيشون فيها خوفاً من الأعراب المحيطين بالدير ووصف السلم المتحرك الذي يستخدمها الرهبان خارج الدير للحصول على احتياجاتهم ووصف أيضاً الأبواب الحديدية الضخمة الموصدة خوفاً من الاقتحام، كما كتب بيلوتي عن عدد الرهبان وملابسهم واصفرار وجوههم بسبب شظف العيش حيث كانوا يعيشون على صدقات الملوك وأمراء أوربا وتبرعاتهم كتب أيضاً عن دقات أجراس الدير الثلاثة والثلاثين وأنها تطابق عمر السيد المسيح[3]، ولأن بيلوتي كان كاثوليكيا فقد تعجب من وصف صلاة هؤلاء الرهبان الأرثوذكس وكتب عنهم بسخرية وازدراء لأنهم كانوا يرفضون دفن الموتى الكاثوليك من الحجاج داخل الدير بل

(1) Stewart, The Wanderings of Bother Felix Fabry, c. AD 1480-1483, London, Palstine Pilgrims Text Society, 1893, pp. 526-546, Venice and History, Revue d' Histoire Economiaue et Sociate, Venice Middle Ages, pp. 21-31' 253-262.

(2) Sauneron, Voyage en Egypte de Pierre Belon 1547, Cairo, 1970, pp. 120-126.

(4) Dopp, Emmanuel Pilloti, Descriptions of Balm and its uses, alpines, De Balsamo Dialogus, pp. 32-34.

خارجه وأنهم نظروا إلى الكاثوليك على أنهم هراطقة ويتضح من حديث بيلوتي عن هذا الصراع المذهبي بين الكاثوليك والأرثوذكس أنه تأثر فيه بأقوال رجال متدينين متعصبين جداً لأن بيلوتي " التاجر الثري" لم يكن حاذقاً في تفهم هذا الخلاف الديني ولم تكن اتجاهاته وأفكاره تأخذ هذا المنعطف على الإطلاق وربما أراد أن يجامل صديقه البابا أيوجين بتعاطفه مع بني جلدته الكاثوليك إلا أن ما كتبه عن الرحلة إلى سانت كاترين كان رائعاً بكل المقاييس، فقد وصف زخارف الدير والصورة الضخمة للسيدة العذراء مع ابنها وما تثيره من رهبة وخشوع وتحدث عن الرهبان الذين يعيشون في أماكن منعزلة إمعاناً في تعذيب النفس وتألم لمنظرهم وشحوبهم كتب عن الأعمدة والمذبح والزخارف الإسلامية الفاطمية التي سيطرت على بعض أروقة الدير كتب عن المصابيح الزيتية المتلألئة[1]، وقال صراحة أنه شاهد مسجداً قريباً من الدير وأن صوت الأذان كان يسمع داخل الدير ويثير غضب ا لحجاج كما كتب عن تقليد كان متبعاً داخل الدير وهو جمع عظام الرهبان ووضعها في حديقة الدير كما كتب عن حجة القديس اسطفانوس Stephoness التي عثر عليها عام ٥٦٠م، حيث يذكر أنه مات هو جالس مكانه وظلت جثته باقية إلى أن تم العثور عليها، وأشار أن هذا القديس كان مسئولاً عن تلقي اعترافات الحجاج هناك [2]، كتب أيضاً عن الكثير من النباتات ومنها شجرة الزيتون والزهور والحبوب وقال أيضاً إن الحجاج كانوا لا يعودون مرة أخرى إلى القاهرة بل منها إلى غزة ثم إلى بيت المقدس مباشرة ، والقليل منهم كان يعرج إلى الإسكندرية ويستقل السفينة متجها إلى قبرص وصقلية وهؤلاء كانوا يلاقون الترحيب واستقبالا مهيباً من كبار الأساقفة حيث يمنح الحاج مباركة وقدسية تفيد باكتمال حجة المقدس[3].

ولا يفوتنا في النهاية أن نشير أن طول المدة التي عاشها بيلوتي في مصر ما بين القاهرة والإسكندرية منحت له الفرصة ليقدم أيضاً وصفاً رائعاً ليوم

---

(1) Brejnik and Brejnik, Voyage de Christopher Harant, de Polzi et Bezdruzdic, Cairo, 1972, pp. 82-94.

(2) Traite d' Emmanuel Pilloti, op, cit, pp. 29-38، 48.

(3) Lane, F.C., Merchant of Venice 1418-1449, Baltimore, 1944, pp.76-77, Befnik, Voyage de Christopher Harant, p.94, Goiteim, S., Le Commerce Meditrrane'em avant Les Croisades, Diogene, 1967, pp. 52-68.

خروج المحمل من القاهرة في طريقه إلى مكة فقد وصف الشارع المصري بمنتهى الدقة والروعة كتب عن كسوة الكعبة قائلاً أنهما تسمى Chisva Tainabi[1] أي كسوة النبي، وأنها مطرزة بالذهب وصممت على شكل بوابة ضخمة ومعها غطاء من المحمل الأخضر الفاخر، وأنه في منطقة "بركة الحاج" قرب المطرية كان يتجمع الحجيج بانتظار الرحيل، لقد كتب بيلوتي عن الإبل والمؤن وحركة البيع والشراء على طول الطريق، وصف الهبات والتبرعات التي تقدم للفقراء من الحجاج تحدث باسهاب عن فرحة المصرين بهذا اليوم وازدحام الشوارع والنوافذ والشرفات[2]، وتسابق ا لناس للتبرك بالكسوة أو لمس جمل، كتب عن الضجيج والأتربة المتصاعدة عن شدة الزحام، ووصف الجمل والأجراس الجميلة التي تزين بها وقال أن الجمل الذي يحمل الكسوة كان يعفى من الخدمة بعد عودته من الحج تكريما له.

كما وصف بيلوتي حلقات الذكر والأناشيد والأغاني الدينية، وكتب أيضاً عن دعابة وخفة دم المصريين ووصف الحرافيش والمتسولين وتصرفاتهم لكسب عطف الأغنياء كما وصف الجنود المسئولين عن الأمن، وحملة الهدايا التي قدمت من سوريا من المخمل والحرير[3]، وأشار إلى مجموعات من المنشدين والشعراء الشوام وزيهم المميز، كما كتب أسماء الكثيرين من كبار الشخصيات المصرية والإسلامية التي تحضر إلى القاهرة وتتجمع في محطة خروج المحمل مما يؤكد محطة خروج المحمل" مما يزيد من قيمة مصر ومكانتها دينياً وسياسياً[4].

كما أسهب بيلوتي في وصف موكب السلطان فرج بن برقوق الذي خرج في موكب مهيب مليء بالخيرات والهدايا والتجار على ظهور الإبل مما يشير إلى قوة مصر اقتصاديا ، وكتب عن الصنجق الذي كان مسئولاً عن حماية

---

(1) Bellorini, T.'and Hodge, E., Preparations and Journey, Frescobaldi Gussiand Sigoli, Jerualem, 1948, pp. 53-57, 177-178.

(2) Kamil, J., The Monastery of Saint Catherine in Sinai, 1996, pp. 570-575.

(3) Stewart, A., The Wanderings of Felix Fabri, St. Catherine's Mount, London, 1893, pp. 570-571.

(4) Stewart, A., Legend of Monks retrieving her body, London, 1893, pp. 604-607.

الهدايا حتى مكة وأضاف أن السلطان كان يرسل حملات استطلاعية لتأمين الموكب ولسلامة الحجيج على طول الطريق وحتى داخل مكة ، بل أشار أن مصر كانت تؤمن الظروف المعيشية للحجاج داخل مكة ولمن يريد البقاء مدة أطول ويشير أن هذا كله كان يضفي على مصر مزيداً من الأبهة والعظمة[1]، وأن الحجاج كانوا يقدمون الذبائح للفقراء بعد عودتهم من الحج حمداً لسلامتهم، كما وصف مشهد عودة الحجيج وأنه كان مليئاً بالفرح لمن عاد أهله بسلام وبالشجن لمن فقد أحبائه في الحج ويقول عموماً كانت أيام القاهرة آنذاك كلها حركة وحيوية ورواجاً تجارياً عظيماً[2].

وفي الحقيقة لقد أبدع بيلوتي بقلمه في وصف الكثير عن مصر وأعيادها ومراسم الاحتفالات فيها سواء الأعياد الإسلامية أو القبطية وكيفية احتفال السلاطين المماليك بعيد وفاء النيل بالإضافة على المزيد من الإشارات والتفاصيل الرائعة التي أضافت الكثير لكتابات إمانويل بيلوتي دي كريت ورحلاته الثرية إلى مصر في العصر المملوكي.

---

(1) Stewart, A., Tomb of St. Catherine, bones, Jewels, pp. 599-603.

(2) Wolff, Two pilgrims at Saint Catherine's Monastery, Astene, 2000, pp. 33-58.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية

1 - Revue d, Histoire Economicue et Sociate des Navires Venise, Pryor, John H., The Voyage of Jacques of Vitry from Genoa to Acre, 1216, Economic Problems in Medieval Navigation, Pelaez.

2 - Mass-La Trie, Louis de, Histoire de Chypre Sous Le Regne des Princes de La Maison De Luignan, Paris, 1861.

3 - Meinhardus, TheHoly Family in Egypt Cairo Press, 1986.

4 - Burmester, Ancient Coptic churches of Cairo, Traditions of Coptic Church in Alexandria, Cairo, 1955.

5 - General: 1. Edward, The Pyramids of Egypt, The Giseh Group.

6 - Harris, Mummy as a Drug, Medicine.

7 - Dopp, p.H., L' Egypt A " Commencement d, après Le Traite d' Emmanuel Piloti de Crete, Incipit 1420, Cairo, 1950.

8 - Garcin, The Regim of Circassion Mamluks, in C. Petry (ed). Islamic Egypt, (Cambridge History of Egypt.1) Cambridge University Press, 1998.

9 - Mayer, L.A., Masn Luk Costume: A Survey, Genève 1952.

10 - Hazlitt, C., The Venetian Republic, Its rise growth and its fall, London 1900.

11 - Lumbroso, G., Notizie di viaggiatoire Italiani in Egitto dal 1300-1480, Roma, 1873.

12 - Monarchs, Chronicon de Arebus, Venet iis ab urbe condita Ad Anmum of Veneice, 1758.

13 - Eliyahu, A., Levant Trade in the Later Middle Ages, Princeton, 1981.

14 - Cambridge, Medieval History, Vol. 8.

15 - Painter, S., A History of the Middle Ages, N.Y. 1954.

16 - Rogers, J.E. Holland, London, 1885.

17 - Saint-Genois (Baron Jules de-) Les Voyageurs belges du xiii eme Siècle du xvii eme Siecle. Bruxells, A. jamar, 1845.

18 - Van Genne P, R., La Ducat Venetian en Egypt, dans la Revue numismatique, Paris 1897.

19 - Z ambaur, E., Manuel de Genealogie et de Chronologie pour L' Histoire de Islam, Hanovre Heniz Lafaire, 1927.

20 - Mas-Latrie, (L.,) Histoire de Chypre Sous Le regme des princes de La Maison de Lusignan, Paris, Imprimerie imperial, 1861- 1862, 3vols.

21 - Guillaume De Machaut, La Prise d, Alexandria ou Chronique de Roi Pierre de Lusignan, Fick, 1877.

22 - Atiya, A.S., The Crusade in the Middle Ages, London, 1938.

23 - Atiya, A.S., The Crusade of Nicopolise London, 1934.

24 - Muir, W., The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt 1260-1517, A.D, London, 1896.

25 - Popper, Egypt and Syria under the circassian Sultans, 1382-1466 A.D. California University, 1953.

26 - Angeliki, E, The Economic History of Byzantium from 7-15 Century, Washington, 2002.

27 - Robort L.W., Hope So called " Fragmentum of Marino Sanudo Torsello in I dem, Studies in the Latin Empire of Constantiople, London, 1976.

28 - Andrea, L., Merchant of Venice, Baltimore, 1944.

29 - Rebuck, Carl, A., The Grain Trade Between Greece and Egypt, London, 1953.

30 -Lane Abdrea, Barbarigo Merchant of Venice, Genoa, 1967.

31 - Van Gennep, A., Le Ducat Ventian en Egypt, Revue Numismatique, Set, 4, 1, 1897.

32 - Heyd, W., Histroire du Commerce du Levant an Moyeen Age, trans, F. Reynaud, 2 vols., Amesterdam, 1967.

33 - Mathew Paris, English History from the year 1235 to 1273 trans from the Latin by J. A. Giles, 2 vols., London 1852.

34 - Runic man, S., Byzantine Civilization, London 1948.

35 - Huart, Histoire des Arabes, Paris Paul Genthner, 1913.

36 - Wiet, G., L, Precis de L, Histoire d, Egypt Par divers Historiens et Archeologues, cairo, 1932.

37 - Lodge, R. , The Close of the Middle Ages, London, 1922.

38 -almustaqbal.new.com.net.

39 - Van Gennep, A., Le Ducat Venitien en Egypte, Revue Numismatique, set, 4, 1. 1897.

40 - Wiet, G., Histoire de la Nation Egyptienne L, Egypte Arabe de La Conpute, paris, 1937.

41 - Huart, Histoire des Arabes, paris, 1913.

42 - Mas Latrie, Louis de, Traites de commerce et documents divers conscermant Les Relations entre Les Chretiems et Les Arabes de L' A Frique an may en Age, Paris, 1866.

43 - Heyed, W., Histoire du commerce, du Lerant an Mayen Age, 2 vols, Dessau, 1885.

44 - Lapiclus, I. Muslim Cities in the late Middle Ages, Harvard University Press, 1984.

45 - Wansburgh, J.A. Venice and Florence in the Mamluk Commercial Privileges, Bso as, 28, 1965.

46 - Merchant, G., La Prise d' Alexandrie, on Chronique du Roi Pierre de- Lusignan Geneve, 1877.

47 - Sauneron, J., Voyage en Egypt du Venitian Anonyme, 1589, Cairo 1970.

48 - Blum Field, R.M., Alexandria Topography dans, Bulletin de La Societe' d' Arches Poyied' Alexandrie, Paris, 1905.

49 - Balog, p., The Coinage of the Mamluk Sultans of Egypt and Syria, New York, 1964.

50 - Maillet, B., Description de L' Egypte, Paris1735.

51 - Garcin, J.C., The Regime of the Circassien Mam Luks, Cambridge Univ. Press, 1998.

52 - Wansburgh, J., A Mamluk Ambassador to Venice in 913/1507, Bsoas, 1963.

53 - Renaudot, E., Historia Patriakcharum Alexandria, Paris, 1713.

54 -Fischel, W., A Latin Biography of Mamluk Sultan Barquq of Egypt, 1399 written by B. Migmanelli, 1959.

55 - Lane, F.C., Merchant of Venice, Company's East, 1418-1419, Johns Hopkims University Press, 1944.

56 - Van Essen, Traditions of Coptic Church in Alexandria, London, 1958.

57 - Sauneron, J., Voyage en Egypt de Pierre, 1547 Belon, Cairo 1970.

58 - Ostrogorsky, G., A History of the Byzantine States, Trans by Hussey, oxford,1956.

59 - Hussy, T.M., The Byzantine World, London, 1967.

60 - Ashtor, E. , Levant Trade in the Later Middle Ages, Princeton, 1981.

61 - Sauneron, Voyage en Egypt op. cit., pp. 93-95, Barozzi, Z., Ventian Embassy, Venice, 1875.

62 - Nicoly, N., Les Navigations, Peregrinations et Voyage Faictes en La Turquie Paris 1988.

63 - Roebuck, C.A., The Crain trade between Greece and Egypt, London, 1950.

64 - Wansburgh, J., A Mamluk Ambassador to Venice in 1507.

65 - White House, H. , Towards a kind of Egypt o Logy, The Graphic Documentations of Ancient Egypt, 1587-1666, London, 1897.

66 - Suyo, E., Un Venitien en Egypte et en Nubie, London.

67 - Volkoff, O., Le voyage en Egypte de Johnn Wild, 1606-1660, Cairo, 1970.

68 - Honey, W.B. , Glass: A Handbook for the Study of glass Vessels of all Period, London, 1946.

69 - Dorigato, A., Murano Glass Museum, Milan, 1986.

70 - Alpinus, Historiae Naturalis Aegypati.

71 - Petrie, W.F., Pyramids and Temples of Gizeh, London, 1893.

72 - Harris, R., Medicine The Legacy of Egypt Oxford, 1971.

79 - Day, J., The Medieval Market Economy, Oxford, Univ. Press 1987.

74 - Thompson, D., Mummy Portraits From the Paul Getty Museum, 1982.

75 - White House, H., Egyptology and Forgery in the 17th Century, Journal of History Collection 12, 1989.

76 - Coptic Mansucripts Sent Mummies back to Noples via Sicily.

77 - Ashtor, E, Levant Trade in the Later Middle Ages, Princeton, 1981.

78 - Stewart, The Wanderings of Bother Felix Fabry, c. AD 1480-1483, London, Palstine Pilgrims Text Society, 1893.

79 - Sauneron, Voyage en Egypte de Pierre Belon 1547, Cairo, 1970.

80 - Brejnik and Brejnik, Voyage de Christopher Harant, de Polzi et Bezdruzdic, Cairo, 1972.

81 - Lane, F.C., Merchant of Venice 1418-1449, Baltimore, 1944.

82 - Goiteim, S., Le Commerce Meditrrane'em avant Les Croisades, Diogene, 1967.

83 - Bellorini, T.'and Hodge, E., Preparations and Journey, Frescobaldi Gussiand Sigoli, Jerualem, 1948.

84 - Kamil, J., The Monastery of Saint Catherine in Sinai, 1996.

85 - Stewart, A., The Wanderings of Felix Fabri, St. Catherine's Mount, London, 1893.

86 - Stewart, A., Legend of Monks retrieving her body, London, 1893.

87 - Stewart, A., Tomb of St. Catherine, bones, Jewels, Venice, 1977.

88 - Stewart, A., Lodgings and Monks, hospitality dislike of Monks.

89 - Wolff, Two pilgrims at Saint Catherine's Monastery, Astene, 2000.

90 - Peters, T., The Hajj, The Muslim Pilgrimage to Mecca and the Holy Places, Princeton, 1944.

91 - Lane, E.W. The Return of the Mahmal Procession in Cairo, 1959.

92 - Volkoff, O., Le Voyage de Johann Wild, Paris, 1973.

قائمة المصادر والمراجع العربية

١- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة د/ حسن حبشي جـ ٢.

٢- وجوانفيل : القديس لويس : ترجمة د/حسن حبشي، دار المعارف ١٩٦٨، الطبعة الأولى.

٣- عبد الحميد صبحي (دكتور): الأحوال الاجتماعية لديرسانت كاترين، ص ٨، داود عبده داور: دير سانت كاترين وأهميته في الفن البيزنطي، الإسكندرية.

٤- سعيد عاشور (دكتور): مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، القاهرة، ١٩٧٢.

٥- ابن أياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، جـ١.

٦- ساميه عامر (دكتور): حملات صليبية لم تفز بأرقام في التاريخ، بحث منشور في مجلة كلية ا لآداب، جامعة الإسكندرية ٢٠٠٢.

٧- العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، جـ ٢٨.

٨- أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ ١١.

٩- سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك.

١٠-المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك.

١١-سعيد عاشور: قبرص والحروب الصليبية.

١٢-داود عبده داود: ديرسانت كاترين وأهميته في التاريخ البيزنطي، مجموعة محاضرات مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ١٩٦٥م.

١٣-عبد الحميد صبحي: الأحوال الاجتماعية لديرسانت كاترين، مقال، مكتبة الإسكندرية رقم ٦٩٧٨.

١٤-صبحي لبيب: تاريخ تجارة الإسكندرية في القرن (١٤م) حملة الغرفة التجارية لمدينة الإسكندرية، العددان ١٧٢-١٧٣، فبراير ١٩٥١ وأيضا جمال الدين الشيال.

١٥ – (دكتور) : الإسكندرية في العصرين الأيوبي والمملوكي، مجلة الغرفة التجارية للإسكندرية، ١٩٤٩.